

## الكلمة

بقلم: عمر الكنزاري

مشافهة أو كتابة هي تَنَائُجٌ من الأصوات أو الحروف يفيد معنى، بغض النظر عن ثلاثية "الدال والمدلول والمرجع" التي حددتها الألسنية. الكلمة أول ما يتعلمه الطفل عن طريق امتلاكه للغة وهي: "الكلمة - الجملة"



ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- أريد حبزا.
  - أو أعطني حبزا.
  - أو أنا جائع...
- وتختزل عبارة "الكلمة" النص أو المقال كقولك: "لقي فلان كلمة" أو "جاء في كلمة فلان..."

وصفت الكلمة في القرآن الكريم بطيبة أو خبيثة، فشبهت الأولى بشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، وشبهت الثانية بشجرة خبيثة لا أصل لها ولا جذور.

غيرنا من تفتن لذلك وصنف كلماته حتى يبشر بالطيبة منها، ويحني ثمارها، ويعتذر عما سواها ويتجنب تكرارها.

في ثقافتنا اقترنت الكلمة باللسان، بل وتماهت فيه فكان الأمر لحفظ  
اللسان وعدم التسرع في إطلاقه، ووصفت الكلمة بالعدوية والرقّة  
والخلاوة والصدق والوفاء الوعد (فلان عنده كلمة).

من خصوصيات الكلمة أيضا أنها لا تموت، فقد رحل سميح القاسم،  
وقبله درويش، والشابي، والمتنبي، ولم ترحل كلماتهم ولم يدركها الموت ولا  
النسيان.

كل الحفريات التي أجريت على كلمات المتنبي وغيره، بأدوات العلوم  
اللغوية الحديثة، من معجمية وأسلوبية وصوتيات... لم تزدها إلا شموخا  
وصمودا وخصوبة. و لن يتوقف هذا الحفر والتنقيب والاكتشاف مادام  
الفكر البشري متيقظا ومتلهفا على المعرفة.

إن للكلمة مواعيد ومناسبات منها العودة المدرسية، فلا مدرسة ولا  
تدرس ولا نجاح إلا بالسيطرة على الكلمة وحسن توظيفها ومعاشرتها  
بمعروف.

كذلك صدور مجلة الإعجاب، فكل عدد منه هو موعد مع الكلمة التي  
نريدها رقيقة جذابة رقراقة، تشد القارئ إليها، فإلى كلمة أخرى حولها  
نلتقي...



## الشاذلي القليبي يحدّد شموليّة الثقافة ومغامرة الشعر الوجودية

إعداد وتقديم: محمد الصادق عبد اللطيف

### 1) الإطار المدخلي:

يقترن اسم الشاذلي القليبي بالنهضة الثقافية في تونس بعد أربع سنوات من حصولنا على الاستقلال التام، وما عرف عن الرجل أنه ثابت الخطى في كل عصر خطّط له، قام ويقوم به، سواء عندما كان يشغل أستاذا مميّزا في اللغة والأدب العربي في التعليم الثانوي، ثم كأحد أساطين التدريس بدار المعلمين العليا إبان تأسيسها سنة 1957 أو عند قيادته للشأن الإعلامي المسموع كمدير للإذاعة التونسية سنة 1961 ثم وزيرا. لقد حصلت إبان توليه وزارة الثقافة عند أول تأسيس على يديه، إلى كتابة المشهد الثقافي بعد أن انتشله من التهميش عندما كان تابعا لمصالح وزارة التربية (كتابة ودراسة).

في مسيرة الرجل عديد الإنجازات التي لا يزال بعضها حيا والآخر مات بلا رجعة، والذي يهم في نشاط هذا الوزير الشاب أنه:

1) خطّط لبعث اللجان الثقافية القومية الجهوية والمحلية تعويضا للجمعيات الثقافية الزيتونية التي كانت تغطي كامل مدن البلاد التونسية لقد قتلت أو هكذا الأنا لم تحدّد حضورها ضمن (قانون الجمعيات)

2) بعث شبكة كبرى لدور الشعب لتكون نقطة إشعاع وتكوين وتأطير.

3- أرسى (ديوان تعليم الكهول) وبعث دروسا اجتماعية في التلفزة لتعليم الكل في تلقي دروس في تاريخ وجغرافية تونس في الرياضيات وفي اللغة، لكن للأسف نجده حلّ الديوان وتعلّلت الثقافة الشعبية كذبوا علينا بعث مشروع (تعليم الكبار) الذي مات .

1) أطلق المهرجانات الثقافية بسميات ثقافية ومنها مهرجان الفن (توزر 1964، صفاقس 1965، جندوبة 1967، القصيرين 1966

2- أسس مهرجان قرطاج الدولي ومهرجان الحمامات الذائعي الصيت.

3- أحدث (القافلة السينمائية المتجولة رابضا المكتبة المتجولة (للمطالعة العمومية) تقريبا للكتاب من المواطن.

4- أسس مهرجان هواة المسرح بقرية، ومهرجان هواة السينما بقلبية، ومهرجان المسرح في المنستير.

5- في عهد تمّ نشر كتاب الإنحاف لابن أبي الضياف، وهو وثيقة تاريخية لم يكتب مثلها غيره للآن .

6- بعث (العكاضيات) رغم ما فيها من تشخيص وأنانية لكنها بعثت شعراء من رحم التاريخ الثقافي المحلي

7- لأول مرة نعرف أنه محرّر خطب بورقية الرسمية الخاصة بالأعياد (الدينية) بما يمتاز به أسلوبه الأدبي من عمق وسيطرة على موضوع الحديث، وبقدرة فائقة، يرضاها المستمع خاصة عند تحاليله لقضايا (الإنسان والمجتمع والدين) تجعله يرقى إلى مستوى المثال الفكري خاصة في محافل مجمع اللغة العربية في القاهرة، كعضو بارز فيه، وآراؤه محترمة عند استضافة تونس لمؤتمر الأدباء العرب والمهرجان الشعر (مارس 1973). كانت كلمته في الملتقى جبلى بالآراء وتنفذ إلى وجدان الحضور، وكإطار مدخلي اقترحها على الحضور حين طرح فيها آراءه البحثية والنقد حول (الشعر والنقد) وهذه الرؤية.

1- الثقافة في عصرنا الحاضر أصبحت تشمل إلى جانب الإنتاج الأدبي والذهني كل الفنون التشكيلية والموسيقية والمسرح والسينما. ونحن نلاحظ أن الأدب في غير البلاد

العربية على صلة وثيقة بسائر قطاعات الإنتاج الثقافي، بينه وبينها حوار مستمر في منتهى الخصب لكل الأطراف المتحاوره. وعن هذا الحوار تنعقد اللحمة بين شتى الحركات القطاعية، فيتألف من مجموعها ما يسمى بثقافة شعب من الشعوب أو أمة من الأمم. أما إذا بقيت هذه القطاعات منفصلة بعضها عن بعض، مبعثرة، لا يؤلف بينهما اتجاه ولا يجمع شتاتها عزم فإن لفظ "ثقافة" ينطبق عليها مجازاً لا حقيقة.

ذلك أن الثقافة تيار جملي عارم منبثق عن مجموعة بشرية بأسرها، معبر عن كل طاقاتها الفكرية والفنية، منصهرة مندججة متلاحمة.

ومن الجدير بالتأكيد أن كل قطاع، سواء في صلب إنتاجه أو في علاقته بغيره يقوم بوظيفة الشاهد على سائر الإنتاج الثقافي في ظرف ما. وتلك صلة لا غنى عنها، في انطلاق ثقافة متأصلة الجذور متماسكة الفروع.

وإلى معنى الشهادة هذا ترجع وظيفة النقد الأدبي الذي انطلق عندنا بعض الانطلاق، ولكنه خبت جذوته، ولم يقو على التوسّع في أهميته حتى يشمل الفنون بسائر أنواعها.

ولا نتردد أن نقول إنه لا أدب ولا فنون ولا ثقافة، ما لم تواكبها حركة نقدية راسخة القدم، لها من الطاقات الذهنية ما يمكنها من استنباط مناهجها ووضع فلسفتها، في تكور دائم.

فالأدب العربي المعاصر مثلاً-والشعر بوجه خاص- لا نعرف عنه إلا النزر القليل عن طريق الدراسات النقدية الشاملة، لفقدان هذه الفئة من الأدباء أو المفكرين الذين يتصدون للإنتاج الشعري بالنقد، أي بالتقييم، لما يعبر عنه من مشاعر ونظرات إلى الوجود، ولما يعتمد عليه في ذلك التعبير من وسائل لغوية وأساليب فنية.

وليس لدينا اليوم دراسات تفي بالحاجة عن هذا التحول الذي نشاهده في الشعر العربي المعاصر، من حيث الصياغة العروضية، ومن حيث المضمون، ومن حيث النظرة إلى الشعر.

فالقصيد العربي الجديد يتعد شيئا فشيئا عما ألفيناه من الشعر، ويتجه إلى محاولة أنماط من التعبير والسيات والإيقاع لا تمت إلى الضوابط القديمة إلا بصلات بعيدة متضائلة. وتأثير الشعر العربي الحديث واضح فيما يتعاطاه الشعراء عندنا من تجارب تخص الشكل والمضمون.

فنحن إذن نشهد فترة تقطع بين تقاليد عريقة في القدم وبين ما يأخذ به أغلب شعراء النابتة الجديدة من اجتهادات تقضي إلى التحرر من القيود المألوفة، وابتكار وسائل لتوقع النغم اللفظي وتصوير خوالج النفس هي إلى الإيحاء أقرب منها إلى الإفصاح. والخصومة بين المتعلقين بالنظرة الفنية وبين أصحاب المناهج المحدثّة على أشدها سواء في المشرق أو في المغرب كل يعتبر أن الشعر على النحو الذي يراه من الطراز أو لا يكون.

وهي في الحقيقة خصومة القدم والحديث، التي لم يزل الأدب العربي يواجهها منذ أقدم عصوره، حين كان أبو نواس وجماعته يثورون على عمود القصيد الجاهلي، ويدعون الشعراء إلى أن يعيشوا عصرهم فيصدقوا التعبير عنه، وحين كان ابن قتيبة يجيب أولئك وهؤلاء بأن القدم كان حديثا أو ظهوره وأنّ الجديد سيصبح قديما بعد جدته لا محالة.

ولعل هذه النظرة "التاريخية" التي أدخلها ابن قتيبة في النقد الأدبي من أهم ما ينبغي اعتباره في هذه القضية.

2- فالشعر، كعمامة مظاهر الفكر البشري لا قيمة له إلا بقدر ما يرتبط بمجهود إنساني أصيل أت -حسب عبارة المعري- "بما لم تستطعه الأوائل".

ذلك أنّ الشعر مغامرة وجودية، تتنافى مطلقا والتقليد والاحتذاء، مفضية أحيانا إلى أبعاد روحية تخص مصير الإنسان سواء في عالم الشهادة أو في عالم الغيب.

لذلك فإن أهم عنصر في الشعر هذا الجهد الذي يعانيه الشاعر-وقد يضطلع به اضطلاعا- للتغلب على ما يجد في نفسه تجاه هذه الضغوط الخارجية، ولتجاوزها إلى أبعاد شعرية أو روحية قد تفتح في وجهه سبل الغيب.

فالشعر إذن ضرب من تنزيل المستحيل منزلة العاجل للتغلب على ما يجد الشاعر في الواقع من نقص، وفي نفسه من عجز، وفي الزمان من قهر.

وهو بهذا الاعتبار تغلب على هذه الأنقاص وتجاوز هذه الضغوط بواسطة الخلق الفني. ومن أجل هذا الارتباط المكين بين التجربة الشعرية والعبارة الفنية، أصبحت قضية الشكل رهينة المضمون، كل متوقف على الآخر مشير إليه، مستوح منه.

لذلك لا يمكن بحال أن يعتد بالشكل في حد ذاته، ويعزل عن هذه التجربة الوجودية التي منها المنطلق وهي التي تملي على الشاعر محاولاته التعبيرية.

فالشعر، أساسا واصله، مغامرة وجودية مقترنة بمغامرة تعبيرية ولا يصبح بتاتا إعفاء لأولوية للثانية على الأولى، لأن إرادة التحديد تصبح إذًا تقليدا جامدا واحتذاء كاذبا، وعنوانا عن نضوب المعين الحي الذي منه تنفجر الأريحية الشعرية.

هذه إحدى قضايا الشعر المعاصر، أردت أن أدلي فيها برأي بعيد عن التعصب للقديم باعتباره قديما، أو الانتصار للحديد، لمجرد كونه جديدا. وذلك إيمانا بأن الشعر كل لا يتجزأ فيه التعبير عن المضمون، واحتراما لحرية كل شاعر في صياغة تجربته بالشكل الذي يلائم قريحته.

وأود أن أختتم حديثي بالإشارة إلى قضية لا أرى سبيلا إلى السكوت عنها في سياق الكلام عن الشعر المعاصر: وهي نظرة الشاعر إلى شعره، وما يحيط بهذا المعنى من نظريات تحدد البعض إلى القول بالالتزام والبعض إلى رومنطيقية قائمة عندهم بجوهر الشعر.

إن كان المقصود بالالتزام ما تفرضه على كل شاعر أو أديب منزلته الإنسانية من تأثير بأحداث عصره واهتمام بمشاغل معاصريه، فليس ذلك محل نقاش. أما إن كان قصد من الالتزام وجوب الوقوف عند هذه الأغراض أو حتى تغليبها على ما سواها، فليس ذلك من فروض الشعر - ولا الأدب عامة - وإنما هو من شروط النضال السياسي.

ولعلّ هذا الغلو في إلزام الشاعر ما لا يلزم، إنما هو رد فعل على ما تطفح به أشعار الكثيرين عندنا من سلبية عاطفية، يغلب عليها التصنع والافتعال، وهما منهم أن الشعر مأساة أو لا يكون.

وليس أجمل من المأساة، عندما تكون صادقة النبرات، عميقة الجذور، وحتما من أحتام القدر.

ومن الشعراء من يظفر بالانتصار على المأساة ويجد منفذا إلى النجاة عن طريق التجاوز سواء إلى فرحة الحياة وما توحى به من معان غزيرة منعشة، أو إلى طلب إبعاد روحية واستشعار لمغلفات وغيوب، يقف العقل عندها صاغرا. وللقريحة الشعرية فيها مجال غير محدود.

في كلتا الحالتين، في حالة الإحفاق وقيام المأساة، أو في حالة الظفر والتغلب على الأعراض، فإن قيمة الشعر وشرقه وزوعته، في هذا الجهد وفي هذا الصراع للتغلب على سلطان الزمان الموضّع في الإلتئان غلينة بالألم والقناء<sup>11</sup>

بهذا المعنى، لا يمكن أن نقول أن للشعر مجالا غزيرلا في عصرنا هذا الذي تكتنفه الحضارة المادية من كل جوانبه، حتى أن الإنسان ليشر فيه أحيانا بضيق الوجود، لولا السنة الأمل، التي منها الشعر، إذا زكت أريجته وأطلق عنانه وأصبح قصدا مضطربا، ووجهها من وجوه الطلب الإنساني الوهاج.

لكن الشعر أيها السادة والسيدات يعسر عنه الكلام والإفصاح بغير لغته. فللشعراء فيه الكلمة الفصل أولا وآخرا.

تلك هي آراء هذا الوزير الأسبق للثقافة، ومهندس وأحد أبرز رجال الفكر في تونس، من مطلع الاستقلال إلى الآن، جدير بنا أن نعرّف ببعض الجوانب من فكره وتفكيره توثيقا للأجيال وللتاريخ الثقافي في تونس.



## خصوصيات الكتابة القصصية للطفل

بقلم: منصف كريمي

في البداية، لتناول موضوع "الكتابة القصصية للطفل" لا بدّ من الإشارة إلى أهمية طرح هذا الموضوع بما يفيد الأطفال خلال تجنيحهم بقريحتهم الذهنية والفكرية في عالم الإبداع القصصي. ولا بدّ من مدخل تعريفى أساسى لمفهوم "قصة الطفل". وهو مفهوم دلالي يختلف بين ما يكتبه الراشد ويتوجّه به للطفل القارئ وبين ما يكون من الطفل الكاتب إلى الطفل القارئ. وصنف ثالث يتعلّق بالقصة التي يحكيها الطفل ويكتبها الراشد. إلى جانب وجود صنف رابع خاص بالقصة التي يكتبها الطفل ويوجّهها للراشد كقارئ. ولكن الجامع بين مختلف هذه الأصناف أن الكتابة القصصية تقوم على عنصرين هامين، أولهما اجتماعي والثاني جمالي. وهي من الخصوصيات المميزة جمالياً لفن القص مقارنة مع معظم الأجناس الأدبية. وإذ نبحث في هذا الموضوع فبدافع ذاتي وآخر أكاديمي من منطلق حرصنا على طرح الأسئلة الحارقة ضمن هذا الإشكال المثير للبحث عن خصوصيات الكتابة القصصية للطفل. وفي محاولة منا لفهم هذه الخصوصيات لا بدّ من التأكيد أولاً أن الكاتب المبدع يمتلك ملكة بجميع شظايا معطيات الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والعلمية المتناثرة، وتركيبها في تشكيل فني متماسك بتحويلها إلى رموز وعلاقات لغوية وصور وتفاعلات تشكيلية داخل النص، وإلى علامات ثقافية وحضارية تختزل عالم القيم والتقاليد والجماليات الإنسانية القيمة والكونية ليشكّل من خلالها نصّاً إبداعياً قصصياً يثير لذّة القارئ، وخاصة الطفل الذي تسكن داخله ما يصطلح عليه بـ"المخيلة المبدعة" في الكتابة والقراءة والتذوّق والنقد. وهو ما يجعل الكتابة للطفل من أصعب أنواع الكتابة، خاصة إذا كان الكاتب راشداً والقارئ طفلاً، بما يحمله مسؤولية كبرى إزاء جيل ناشئ تفرضها الرقابة الذاتية

للكتاب الراشد، لأن هذه الرقابة تفرض عليه نوعاً من الحذر والحيطه، والتنبه لقارئه هش، وهو طفل يانع، ليختار الكاتب موضوع كتابته القصصية طبقاً لحاجات الطفل وميولاته، متخلياً بذلك عن نصيب من حريته مع إيفائه بالحقوق الجمالية للأدب، ليبقى نباح نصه رهين تحقيقه للمعادلة الصعبة بين اكتناز قصته بجماليات النص القصصي من جانب، واكتناز روحه باحترام الطفل المتلقي وتلبية احتياجاته من جانب ثان. وللنجاح في تحقيق هذه المعادلات لابد أن تكون لكاتب نص قصصي للطفل معرفة بأصول التربية وعلم نفس الطفل ووعي بمراحل نموه وذوقه الجمالي. إلى جانب توفر قدر هام من الخبرة الميدانية المباشرة مع الطفل، ودراية فائقة برغبات الطفل وتوتراته النفسية وانفعالاته، وحياله الخلاق على أن ينهل خلال التوجيهات الترشيدية الغالبة على أكثر قصص الأطفال أسلوباً ينزع نحو السهولة والوضوح والبساطة والابتعاد عن المصطلحات صعبة الفهم، والتركيز على الجانب المشرق من الإبداع الموجه للطفل، بتوظيف تقنيات لغوية شعرية وثقافية في السرد الموجه للطفل كأن يستند صورة الأب الذي يسامر أولاده بالخكي الشعري، متخذاً من الحكاية مادة أولية للرؤية، واستبطان الحكمة، حيث تنطلق من رؤية شعرية تستخدم المجاز، وتنحو إلى تكوين جمالي مكثز بالبلاغة للحمل والصور، بما يمنح الطفل زادا إبداعياً ينمي ذائقته الخيالية. وبديهي أن يتصف أدب الطفل بصفات الطفل ذاته وطباعه، وأن يتفاعل مع حاجياته وسلوكياته في سعي نحو إرضاء انفعالاته ورغباته بما يتماهى مع عالمه بانتهاج أسلوب الإيحاء والتحسيد حسب الطبيعة العمرية للطفل، ومراعاة لتفاوت القدرات الذهنية بين طفل وآخر أي بين الطفل الذكي اللامع والطفل الخامل، بانتهاج خطاب أدبي تربوي فني وجمالي يسهم في إعداد الطفل وإنعاش روحه ونفسه وقدراته وسلوكياته بكل ما ينميها أو يهذبها وينشطها، وبأخذها إلى الطريق الصحيح في دنيا الحياة، بربط تفكير الطفل بترائه وقيمه العريقة، من خلال الكتابة له بأسلوب يمدّه بالمعرفة والتواصل الحي مع حاضره ومستقبله. وفي ذلك ما يجعل الطفل لصيق هذا الموضوع بواقعه وواقعيته بمعالجته معالجة جيدة وطبيعية لا تتجاوز لغة الطفل ومقدرته على الاستيعاب والتعايش مع الأحداث.

ولواقفه والتلبس النفسي والخيالي لان الكتاب يأخذ الطفل إلى عالم الخيال، عالم ينسى فيه نفسه، ويترك أسلحته الدفاعية أو المحورية، فالطفل يحب القصة التي يعيش فيها، ومن خلال بطلها حياة فيها المغامرة والصدق، ويجب أن يتنصر فيها الحق على الباطل، يحب القوي، ويعطف على الضعيف؛ لأنه يربط نفسه بالبطل - وأقصد بالبطل من يصوره الكاتب بطلا- كما يمكن للطفل أن يتأثر به ويتعلم منه، والطفل أيضاً يحب التكرار، ويتعلم عن طريق التكرار، ويجب المفاجآت، فلا يرهق أن يقرأ الخاتمة من أول القصة ويجب أن يعيش معاناة البطل، وأن يفاجئه الكاتب في الخاتمة. ومن هنا ينبغي أن يختار الكاتب بطلاً لقصته من نفس الفئة العمرية للطفل الذي كُتبت له القصة، وأن يحدث نموًا ذاتيًا للبطل من خلال أحداث القصة، دون أن يملي الكاتب على القارئ الصغير دروسًا، ومن هنا من الضروري حبك فكرة القصة وأحداثها وأسلوب وصول البطل إلى حل المشكلة بمجده- لا بأس من مساعدة بعض الأطراف الآخرين من أصدقاء والوالدين أو غيرهم- ولكن دون أن يكون الطفل عنصرًا سلبيًا لا يدير أموره؛ بل يعطى الدور الإيجابي الفعّال لحل مشاكله، بهذا الأسلوب يمكن أن نعلم القارئ الصغير تحمّل المسؤولية بطريقة غير مباشرة، بالإضافة إلى نوع النضج الذي يحدث للبطل من خلال أحداث القصة.

والملاحظة الهامة هنا أن الطفل لا يحب الوعظ المباشر؛ فهو قد يقرأ قصة أو اثنتين ثم ينتقل إلى قصص أخرى لأنها تنتزعه من عالمه حيث تكثر فيها نصائح الكبار في الغالب. فالطفل يحب أن يعيش عالم الخيال مع القصة، ولا أقصد بالخيال السحر وعالم الفضاء؛ بل قد تكون القصص عن طفل من نفس بيئته، ولكن البيت والأب والأم والجيران والأصدقاء غير الذين يعرفهم، وللطفل دور فعّال في هذا المجتمع؛ فهو يحل ويربط، وله رأي في هذه الأشياء، ومن أهم الأشياء التي يجب تلافيتها هو عدم الكتابة التحتية للطفل، كأن نفترض فيه الغباء وأننا نحن (الكبار) الذين نخلي عليه الدروس والنصائح أو أن تنتهي القصة بالدروس المستفادة؛ بل نُنسج بطريقة تجعل الطفل يصل إليها بطريقة غير مباشرة، لذلك

نرى أن الطفل يميل إلى القصص المترجمة الملونة ذات الرسوم الجذابة، والتي لا تكتظ بالنصائح على غرار قصص الإيطالي جيانى رودارى(3)

### الخاتمة:

إن أدب الأطفال الحقيقي هو ذلك الأدب الذي يتصف بصفات عدة، ويمتلى بمزايا كثيرة تجعل منه عالماً "خاصاً" يؤثر ويتأثر بعوالم الطفل، وتصبح له سلطة وجدانية وأخلاقية ومدرسية وبئية على الطفل، بوصفه أدباً "قيماً" و"سلوكياً" و"جمالياً"، يتصف بصفات الطفل وطباعه وموصوفاته النفسية والأخلاقية والتربوية، ويتفاعل مع غرائزه وحاجاته وسلوكياته بأوجه متعددة، لا تتقاطع مع الوجوه العامة للسلوك المرغوب فيه اجتماعياً داخل المجتمع الإنساني. لذلك عُدَّ الأدب المكتوب للأطفال أصعب بكثير من الأدب المكتوب لعالم الراشدين أو ما يسمى بـ"أدب الكبار" - إن صح التعبير - وصعوبته تنأت من عدة نواح لعل في مقدمتها أن الأدب يكتبه كاتب راشد لمتلق صغير هو الطفل. والطفل منا ليس هو الطفل الذي نفهمه ككائن صغير، أو فرد في مرحلة النمو، إنما هو كيان من كائنات متعددة، ومرحلة في مراحل متدرجة. وسلوك من سلوكيات عدة، وغرائز وطباع وأمزجة وقدرات متفاوتة، في شخصيات متعددة، تدور في ذلك الطفل والطفولة. لكن الغالب اليوم على النص القصصي الخاص بالطفل هو اكتناز مكتباتنا بروايات الألغاز والروايات البوليسية ضمن صناعة قصصية تقليدية فرضها سوق استهلاك الكتاب، دون أن يعتني الإبداع القصصي بأعمال روائية أخرى تركز على فضاءات سردية تعيد تشكيل الواقع الاجتماعي أو التاريخي، أو تعيد إنتاج المتون السردية والحكاية في التراث الشعبي العربي.

### الهوامش:

- 1- نص مداخلة قُدمت ضمن فعاليات الدورة التاسعة للملتقى الجهوي لأدب اليافعين الذي نظّمته دار الثقافة زرمدين من ولاية المستير يوم 26 جانفي 2014.
- 2- أستاذ تنشيط ثقافي وإعلامي من ولاية جندوبة
- 3- جيانى رودارى: كاتب إيطالي وهو رائد مدرسة عالمية في الكتابة للطفل.

## الإسلام شفاء للنفوس

بقلم: محمد التوهامي الحمادي

إنّ المؤمنين هم أهل حلم وصبر وتواضع وتسامح وحياء، قال تعالى: "يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً"، تعرفهم بطول الصمت وتواصل الفكر وخفض الصوت والبعد عن المهرج والصخب والتلاعن. وتعرفهم بالتأني والإتقان والإحسان فيما يعهد إليهم من أعمال. وتعرفهم بالدمائة ولين الطبع والصدق والوفاء والاعتدال في الأخذ من كل شيء. وإذا أردنا اختيار صفة جامعة لكل هذه الصفات الحميدة قلنا هي "المروءة"، فهي الصفة المفردة التي تدل على أن الإنسان استطاع أن يسود مملكته الداخلية ويحكمها ويسوسها، هذه خاصية المؤمن لأن علاقته بما حوله علاقة مميزة، علاقته بالأمس والغد، علاقته بالموت، علاقته بالناس، علاقته بعمله ونظرته للأخلاق. فالأخلاق بالمعنى الواقعي هي أن تشبع رغباتك بما لا يتعارض مع حق الآخرين في إشباع رغباتهم هم أيضاً. فهي مفهوم مادي اجتماعي بالدرجة الأولى، وهدفها حسن توزيع اللذات.

أما الأخلاق في الإسلام، فهي أن تخضع نفسك، وتخالف هواك، وتحكم شهواتك، لتتحقق برتبتك ومنزلتك العظيمة كخليفة عن الله في الأرض، ووارث للكون المسخر من أجلك، فأنت لا تستحق هذه الخلافة والسيادة على العالم إلا إذا استطعت أولاً أن تسود نفسك، وتحكم مملكتك الداخلية. فالجتمع الذي يتألف من مثل هؤلاء الأفراد لابد أن يسوده الوثام والسلام والمحبة. والأخلاق بهذا المعنى خروج

عن عبودية النفس إلى مرتبة عليا هي الجمعية مع الرب، خروج من الرغبة في شيء مادي إلى الرغبة في حضرة الإله جلّ وعلا، لهذا تبدأ الأخلاق الدينية بمجاهدة النفس حتى تحكمها وتخضعها، فالأخلاق ليست دعوة إلى حسن توزيع اللذات وإنما هي دعوة إلى الخروج من أسر الملذات.

فالإنسان المادي يستهدف النزوة واللذة الفرويدية لأنه لا يعتقد في وجود شيء وراء الحياة الدنيوية. وهو متزكك دائما وفي حلقة غصة وفي قلبه ندم، وكلما أشبع شهواته ازدادت جوعا وعطشا، فهو يعيش في قلق وتوتر مشتت القلب، متوزع الهوى بين الرغبات، لا يعرف للسكينة طعما حتى يدهمه الموت رغم أنه.

إن علماء النفس لا ينظرون إلى النفس إلا من خلال العيوب والأمراض، ولا يفتشون إلا في الانحرافات والعقد، ولا يقدمون لنا شيئا إيجابيا عن النفس السوية الصحيحة، ومن هنا كان الإحساس بالذنب عند فرويد مرضا، والتوبة نكوصا والندم تعقيدا، والصبر على المكاره برودا، وقمع الشهوات كبنا له عواقبه الوخيمة.

بينما نرى الدين يقف على النقيض من هذه النظرة، فيعلمنا أن قمع الشهوات هو شاهد على سلامة النفس واقتدارها، وأن الإحساس بالذنب علامة صحة، وأن التوبة موقف علم تدل جميعها على فطرة سوية، أدركت الله وعرفت أنه دائما مع الحق والعدل والخير.

ولا يرى الدين أن النفس محض فجور، بل يصفها بأنها قابلة للفجور والتقوى، وأن الله ألهمها فجورها وتقواها، فهي تستطيع أن ترتقي في معراج نوراني نحو الله، وأن تنهبط سفليا في درك الشهوات، قال تعالى: "قل كل يعمل على شاكلته"

فالدين أكبر زاجر للضمان وأعظم مصلح للسرائر، رقيب في الخلوات ونصوح في المدلهمات بما حواه من نصائح وإرشادات.

وإن بعض علماء النفس لينظرون إلى العذاب النفسي فلا يكادون يخرجونه من إطار الحرمان من اللذات المادية، ولا يتصورون أن العذاب الدنيوي يمكن أن يكون ابتلاء وامتحاناً من الخالق الذي خلق، كما يفعل الحداد بالحديد حينما يدخله النار ثم يلقي به في الماء البارد ليزداد صلابة.... أو كما يصهر الصائغ معادنه ليفرز ما فيها من ذهب وما فيها من نحاس وما فيها من خبث وشوائب.

لأن النفس تأخذ شكلها النهائي في السنوات الخمس الأولى عند هؤلاء العلماء، ولا يبقى للطبيب النفسي دور سوى إخراج المكبوت إلى الوعي، ولذلك يلجأ الطبيب إلى العلاج بالتنويم المغناطيسي، أو بالتنفيس والتعبير بالموسيقى واللعب. وكل هذه الصور من العلاج أشبه شيء بعلاج السرطان بالمراهم والمسكنات، فكلها تقبل وجود المرض النفسي على حاله ثم تقول للمريض... أصرخ أو غنّ لتتقّس عن آلامك... وقد اتضح أن معظم الأطباء النفسانيين مرضى أكثر من مرضاهم وفي حاجة إلى تحليل.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولنا في رسول الله وأصحابه الكرام خير الأسوة ونعم القدوة: فهذا مصعب ابن عمير يستنجد به أخوه الكافر، وكان يحبه حباً جماً، وذلك لما وقع أسيراً عند المسلمين، فيجيب مصعب بقوله: "شدّ يدك بأسيرك فإنّ ذات يسار لتعظّم لك في الغدية، فقال له أخوه غالباً أهذه وصيتك يا أخي؟ فقال مصعب: لقد أبدلني الله عن أخوتك بأخوة الإيمان.

بهذه الأخلاق السامية والمثل العليا انتصر الإسلام على الكفر وعمّ نوره المعمورة، قال تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله".



## المملكة العربية السعودية..

### وترحال نحو الزمن!..

بقلم: رشيد الذواودي

تميزت المملكة العربية السعودية بكل ما أحاط بالإنسان من أحوال المكان، وحرارة الطقس، وتأثير البيئة، وأساليب العيش، وبما أضيف إلى لغة عدنان من ثروة الحضارة، وعلى الرغم من أن الحروف العربية لم توضع في البداية، ولكنها تولدت بتنوع الحروف النبطية الذي كان شائعاً في شمالي جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام.

وأراضي للمملكة اشتهرت بإكرام الضيف، وبالفخر والحماسة، وبما انتظمت به أحوال المجتمع من تقاليد وعادات وأفكار، وأسهم كل هذا في جميع ما أغنى الأدب الجاهلي ومصادر توحيد اللسان العربي، وتغليب لغة قريش على سائر اللغات.

وحيثما نقول: (قريش) نذكر تقاليد الأيام، وما امتازت به (لغة قريش) من ثروة واسعة في الصور، وفي الأحياء، وفي أنواع المجاز والكناية أو غيرها..

و(قريش) سكنت (مكة).. و(مكة) كانت محطة للقوافل من عهد عهيد، و(قريش) عاشت فيها، وعظم شأنها فأصبحت موضوع إجلال العرب، كما ساهمت بنصيب وافر في توحيد اللغة، وفي تهذيب لهجاتها، وفي انتقال الحروف النبطية إلى ما يقابلها بالحرف العربي الحالي.

ومن المعلوم أن الكتابة العربية بلغة (عدنان القديمة)، كانت شائعة في أوائل القرن الرابع للمسيح، وجدت على قبر (امرئ القيس) المتوفى عام 540م، وهو شاعر كبير، ومن مواليد (نجد) سنة 496 م، وكان عاش في اللهو، فطرده أبوه، فراح يتجول في



زمرة من المحان، ولما قتل أبوه فكر في استرجاع ملكه، لكنني مساعيه ذهبت أدراج الرياح!

إذن ... (فالمملكة السعودية) عاشت في ظل الميادين الفسيحة، التي انطلق منها الخيال العربي منذ أقدم العصور، وفيما قوى دافع التأثير والعاطفة، والبحث عما يتراءى لنا فيه حياة الجماعات وتغلب الفطرة والطبع، ولذا يتعين عليّ أن أقول هنا: إن المصادر التاريخية عن المملكة، تذكرنا بصفحات من المجد التليد، فهي بلد إسلامي عريق، ووطن عربي عجيب بمآثره الخالدة، وقطر من أقطار العرب المغربية بلا منازع.

وفي صفحات الزمن عاشت بمحمل بلدان المملكة ك: مكة، والمدينة المنورة، والرياض، والطائف، وحائل، والطهران... وسواها من المدن معتزة بماضيهما وتاريخهما الزاهي، فهي مدن، تحكي عن مفاسل أوضاع الإنسان، وكبرت ونمت في ظل ما أنجز فيها من صروح تعليمية، ومساجد، وعمران رائع، وأسواق يأتيها الناس من كل فج عميق.

وفي محفل التاريخ، تشيد هذه البلاد بقوة الإيمان، وبمواطن الاستقرار والطمأنينة، وبالفعل الناجز في بمحمل التحولات الاجتماعية والاقتصادية، وهي بدون شك تحولات صائبة تعتمد على الشورى في اتخاذ القرارات.

ومن أجل كل هذه الميزات كانت هذه الأرض أرضا معشوقة ملأها القلب حباً، لقداستها ولدورها التاريخي المتميز، فقد أكرمها الله بنزول القرآن، وعاش فيها المصطفى الحبيب سيد الخلق محمد بن عبد الله عليه السلام.

وهي في ذاكرتي مرجع تاريخي، تنهل منه الأجيال وتقنّدي به، وبقعة من بقاء وطني العربي الغالي، والبيئة الجغرافية، التي ألفها الإنسان من أعماق التاريخ وحضارته.

وحيثما ترحل بي الخواطر والمشاعر النفسية، أرى في المخيلة صور الأشياء تبعث في نفسي الجادة روحا وحياء.. هي صور حسية تكسو أفكارى، وتبين لي ما قد يتجلى من العقل الإنساني من ناحيتي المعنى والمبنى، والدقة، والإصابة.

وإن (أرض الحجاز) ألقت عنها كتب كثير، ومؤرخون مشهورون أجروا أبحاثا عديدة حول تاريخها وجهاد الإنسان فيها، كما تبدو للجميع غنية بآثار المسلمين الأوائل، ضمن الترحال نحو الزمن.. فذاكرتي مازالت تحمّ إلى أيام (سوق عكاظ الشعري)، وإلى حكايات الأشراف والزعماء ورجالات التحكيم في الخصومات، وكل هذا تمّ في الأماكن العالقة في الذهن.. وفي ظل المكان الساكن والمكان المهيب، وأيضا في تلكم الأصقاع الحاملة للهجة قريش وفي أساليبها، وفيما تأخذه من لغات تلكم الحضارات الوافدة إليها عبر التجارات الواسعة.

ومن هنا بات من الضروري أن ندرك جميعا أحداث الحياة البشرية في تلكم المدن والأصقاع، وأن نستحضر أخبار المملكة، المملكة الشابة المزينة والمتألقة على الدوام بنزعتها الواقعية فتشي عن الإنسان الحاضر القاطن فيها، وعن الإنسان الذي عمّرها في القلم ومشى على أرضها ولامس أحجارها الطيبة.

وتجمعنا (أرض الحجاز) بالبدوي العريق، وبالحوادث المؤثرة والمواقف البعيدة، وبغزلان الصحاري، وبتراث (مكة المكرمة) و(المدينة المنورة) أو بالشعراء الذين مجّدوا: (جدة) و(الإحساء) و(القطيف) و(حائل)، و(الإمام)، و(الطائف)، و(الرياض) وغيرها من بقاع المملكة المعشوقة.

كما تجمعنا بالذكريات الحلوة، وبالعزيزة الصادقة، وبلا استقرار السكاني، وبمستوى البنى التحتية، واستحداثات (برامج الدعم التكميلي)، الذي يستهدف بناء الإنسان وسدّ الفجوة بين الدخل الفعلي للأسر والأفراد وبخاصة الفقراء وبين خط الفقر

المطلق، وبزيادة مخططات الضمان الاجتماعي، ومنع أي من الممارسات الاحتكارية، وبالجهد المبذول في مجال توفير بناء الإسكان التنموي .

وتستوفقنا المساحات المزروعة في السعودية بنحو 972 ألف هكتار وتستحوذ مناطق (الرياض، والقصيم، والجوف) على نحو 56.6% من الأراضي المزروعة. أما المحاصيل الزراعية، فهي وافرة جدا في المملكة، حيث توفر مناطق (حائل، والجوف، والقصيم، والرياض، إنتاجا يقدر بـ: 84% من القمح، ونحو 58% من التمور، و72% من الفواكه.

وفي المملكة العربية السعودية حاليا تنتشر المنتزهات الوطنية وتصل إلى 25 منتزها طبيعيا و16 منطقة محمية، ويعد (منتزه عسير) أكبر منتزه وطني حيث تبلغ مساحته 450 ألف هكتار.

والعاصمة (الرياض) تحتضن الوزارات والكثير من الكليات والجامعات.. ومعالمها التاريخية تحكي عن جهد الفوارس، وعن اهتمام الأسرة الحاكمة بالمآثر.. ومن أبرز معالمها التاريخية نشير إلى (الدرعية القديمة) و(نادي الفروسية)، و(المتحف الوطني)، و(مركز الملك عبد العزيز).

أما (منطقة مكرمة المكرمة)، فتعتبر (العاصمة المقدسة) وتحتضن (الكعبة المشرفة) قبله عموم المسلمين في أنحاء العالم.

و(المسجد الحرام) شهد هو الآخر -وطيلة العهد السعودي - عديد التوسعات الهامة، وصولا إلى عهد خدام الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز حفظه الله.

وفي (منطقة المدينة المنورة)، نرى مسجد رسول الله الأعظم محمد عليه الصلاة والسلام وقبره الطاهر، ومدافن أصحاب الرسول كعمه حمزة في (جبل أحد) وقبور الكثيرين من أصحابه الأوفياء رضوان الله عليهم.

ولقبت (المدينة المنورة بـ: (طيبة الطيبة)، وتعدّ أول عاصمة إسلامية، وفيها (يجمع الملك فهد بن عبد العزيز لطباعة المصحف الشريف)، حيث يطبع سنويا ما متوسطه عشرة ملايين نسخة.

وتجمني (المدينة المنورة) بكل ما يملأ الأعين أملا بالمستقبل المنشود، وبكوكبة من رجال الأدب والفكر أمثال: الدكتور عبد الله عسيان رئيس النادي الأدبي، ومساعدته الدكتور عبد العزيز الرفاعي، وممؤرخ المدينة د. أحمد أمين مرشد، وبتراث الأجيال من الأدباء في هذا البلد ك: محمد حسين زيدان، ومحمد ولي الدين سليمان، وعبد الرحمان حسن، والطاهر أحمد عثمان، وبالدكتور محمد حسن الأنصاري الكاتب السعودي المعروف.

و(المدينة المنورة): واحدة من المدن المغرقة في القدم، وينسب المؤرخون تأسيسها إلى مجموعة من الجيل الخامس من أحفاد رسول الله نوح عليه السلام. ومن مزارات المدينة المنورة، مسجداً قباء، وشهداء أحد ومقبرة البقيع، وهي المقبرة الرئيسية لأهل المدينة منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. وعلى صعيد التربية والتعليم تسعى المملكة من خلال تطوير المناهج على تعزيز روح الانتماء و الولاء إلى الوطن....!

وفي مسيرة التعليم العالي حققت المملكة ارتفاعا في أعداد الطلاب المنتمين إلى الجامعات، وشهد التعليم العالي قفزة نوعية غير مسبوقه في التاريخ المعاصر. ومن أبرز الجامعات: الجامعة الإسلامية، وجامعة طيبة وجامعة أم القرى، وجامعة الملك عبد الله للعلوم والتقنية، وتحتم هذه الجامعة بأربعة محاور. وتقع في شمال مدينة جدة، وتعنى بوجه خاص من معالي الدكتور خالد محمد العنقري وزير التعليم العالي بالمملكة،

ويحظى وزير التعليم العالي بشعبية واسعة لدى الطلاب، ويسهر على مدّهم بما تحتاجه الدراسة من أبحاث علمية جادة ومعونات.

ومن أيادي عطاءات هذا الوزير تنظيمه للمعرض والمؤتمر الدولي للتعليم العالي في كل سنة تحت رعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز.. وفعالياته يشارك فيها أكثر من مختلف دول العالم.

ومن أهداف المؤتمر ما يلي:

أولاً: تعزيز النهوض بمسيرة التعليم العالي في المملكة.

ثانياً: وتوقيع مجموعة من الاتفاقيات في مجال التعاون العلمي بين الجامعات السعودية وعدد من الجامعات العالمية الكبيرة في خطوة تعكس سعي الجامعات الوطنية لمواكبة نظيراتها العالمية، واكتساب الخبرة وتعزيز أواصر التعاون بينها وبين الجامعات العريقة في العالم.

أ) أنه حقق أهدافه المنشودة.

ب) وعزز التعاون بين الجامعات السعودية و نظيراتها

ت) وقدم صورة كاملة للنهضة الكبيرة في قطاع التعليم العالي في المملكة السعودية.

ث) واستقطب أفضل الجامعات المتميزة في قائمة التصنيف العالمي.

ج) وأكد أيضاً على تميز الجامعات السعودية وعلى الريادة العلمية وجهود الباحثين في النقلة النوعية للتعليم العالي في المملكة..

ويأمل معالي وزير التعليم العالي في المملكة المفكر خالد محمد العنقري أن يحقق

التعليم العالي تحويل المجتمع من مستهلك للمعرفة إلى منتج لها.

# آلام... وأحلام...

(2)

إعداد: أ. محمد فوزي غانمي

تلقى المتفقد بعض الردود على الكتاب الذي نشرناه في العدد السابق (239)، نورد منها، ذكرًا لا خصمًا، الرد التالي:

<http://Archivebeta.Sakhrif.com>

## قراءة لكتاب يُقرأ بالف أسلوب وأسلوب

الكاتب في وطني يتكلم كل اللغات

إلا العربية

فلدينا لغة مرعبة

قد سدوا فيها كل ثقوب الحرية

آلام... وأحلام...

أو: جراح... وأفراح...

أو: أوجاع... وإبداع...

## الإهداء

إلى مثلنا الأعلى السيد متفقد الدائرة... إلى من دعانا إلى أن نتكلم...  
لنكتب... لنكف عن الصمت....

فلا تسألنا عن الصمت يا سيدي ففي صمتنا عنوان كتابك.  
إلى من دعانا لتكلم لنكتب في زمن مغلف بالمتاعب وعن زمن ليس لي أن أسميه  
إلا بالزمن المحنط أو الزمن الملهجور. زمن لسنا من شأه إلا أنه كان. فعبثت الأقدار  
بزهرة شبابنا المحترقة فذهبت وذلت...

إليك سيدي كل التقدير وكل الاحترام

آلام... وأحلام...

أو : جراح... وأفراح...

http://www.sikhrit.com أو : أوجاع... وإبداع...

نطلق في قراءتنا لهذا الكتاب بمكونات النص الموازي ونعني به ما  
يحيط بهذا الكتاب من مكونات كالعنوان الأساسي (آلام...  
وأحلام...) والعناوين الفرعية (جراح... وأفراح... + أوجاع...  
وإبداع...)

ونص الإهداء وصفحة الغلاف... كل هذه المكونات تشكل  
نظاما كلاميا ونسقا معرفيا لا يقل قيمة عن نص الكتاب نفسه أو  
مكملات النص (مجموع الشهادات والفقرات التي تضمنها الكتاب)  
الذي نحيط به ونستقل عنه استقلالية نسبية.

وإنَّ تَمَثُّلَ هذه العناصر يشهم في توضيح المعنى واستنطاقه  
واكتشاف الخفي وإيصال العلامة بالعلامة.

### صفحة الغلاف

نحملنا صفحة الغلاف إلى ضربين من العلامات، علامات لغوية وعلامات غير لغوية.

فهذه الصَّفحة الدَّاكنة لونا [ملاحظة فنيّة: هي من ورق الكرافت المعروف] التي كانت بمثابة المقدّمة حيث سُجِّلَ على بساطها بعض التعريفات بلون أسود يتخلّلها الوردِيّ في جزء بسيط والأخضر في جزء أقلّ بكثير.

صفحة الغلاف جاءت كصورة فوتوغرافية. فهل أنّ هذا الاختيار مرّدّه الإيهام بالواقع ما دامت الصّورة أقرب الأشكال إلى الواقع وإن لم تكن استنساخاً له ؟ !  
الصفحة إذن تتضمّن داخلاً وخارجاً.

<http://Archivebeta.Sci>

هذا الخارج البسيط في شكله وهذا الدّاخل الذي لا تعدو العين أن تكون فيه أداة للاستبصار، فهي تحول لتتنقّل في كلّ التفاصيل...

الخطّ الغليظ، والخطّ الرقيق، النقاط المتتالية... والمكان : برقو / سليانة.

الصّفحة نافذة منفتحة، والنّافذة تُظهرُ بقدر ما تُخفي...

لنتنقّل من هذه التفاصيل الخطيّة إلى تفاصيل الحياة ؛ فكأنّ السّوادّ هو الوجع الكامنُ فينا، آلامنا، جراحنا، عذاباتنا، أحزاننا... رحلة عمر مملوء بالقهر...

وحثّي يخفّف السيّد محمّد من هذا الواقع المغلّف بلون العتمة اعتمد الوردِيّ في عطف غليظ، وقد كان حرف الواو الذي كُتِب بلون أخضر زاو لونا من الاستراحة والهدنة بين مرارة الواقع وبين الأفق المنتظر البعيد... لعلّ الحياة تكون كذلك الفجر المبتسم...



وقد تقف العين بالقارئ وهو يرسم عبر الكلام عالماً متخيلاً «أحلام» ليرسي في عالم حقيقي «إبداعاً» وما بينهما محطة لا ننساها ولا نستطيع تجاوزها «أفراح»... إذ كثيراً ما وجدنا لهذه الصفحة البسيطة الغنية أثرها في كتابات شخصياتنا وتلخيصاً لأوجاعهم ومتاعبهم وجراحاتهم.

### العنوان

أما العنوان فإنّ اختيازه لم يكن بريئاً فهو نصّ يقف في مواجهة النصّ، وينهض بوظائف مختلفة هي الإظهار والإيماء والدلالة وشدّ المتلقي. ويقدم لنا جملة من المعطيات التي تضيء النصّ الداخلي رغم عتمته، وتضيء نفوسنا رغم وجعها.

فالعنوان يحملنا إلى ثنائية الألم والحلم؛ الألم وما يتصل به من تذّكر مرير موجه، والحلم وما يتصل به من نسيان وتمرد وقوة...

أَوْ لَسْنَا أَمَامَ جَدَلٍ بَيْنَ عَالَمِ الْكَلِمَاتِ وَعَالَمِ الْأَشْيَاءِ؟ بَلْ إِنَّ الْكِتَابَةَ تَعِيشُ تَوَثُّراً مُسْتَدِيمًا بَيْنَ أَلَمٍ وَحَلْمٍ، بَيْنَ جَرَحٍ وَفَرْحٍ، بَيْنَ وَجَعٍ وَإِبْدَاعٍ...

فالعناوين الفرعية توحى هي أيضاً، وتقدم إرهاباً بالدلالة اللاحقة.

فأستاذنا السيّد محمّد يستعيز عن الاختلال الحاصل في الواقع والحاصل في نفوس المعلمين المتربّصين بتوازن آخر أو موازنة أخرى في مستوى الألفاظ، حتّى يعمل من الكتابة أداة لمواجهة هذا الواقع، بمزج وحلوه، وأداة لمواجهة هواجس ذاتنا. تتعدّد الإحالات والشواهد الدالة على العنوان في النصّ الداخلي أو مقاطع الشخصيات.

فالعنوان هو السند الرئيسي الأصلي للسند الفرعي

«بعد سنوات طوال من البطالة والانتظار ابتسم لك الحظّ

فوقعت تسميتك رسمياً في قطاع التربة»

أو هو الجواب الحقيقي والترجمة الحقيقية لمقالات الشخصيات.

## الإهداء

وفي الحقيقة ثمة إهداءات ؛ إذ ننطلق من الخاصّ (المعلمين المترتّبين بدائرة برقو/سليانة) إلى العامّ (سائر الدوائر، بل سائر القطاعات) ثمّ إلى الأشمل :

(إلى كفاءات في بلادي، تتعطل قبل أن تفعل).

وفي الإهداء ثمة استحضارٌ للعنوان أيضًا وللجراح والمتاعب يعبر عنها بنقاطٍ متتالية ويصرُّ على إغائها بكلمة « أخيرة » ويؤكد على نغابتها بوضع نقطة كبيرة هكذا « أخيرة • »

فكان ما وراء النقطة أفقٌ جديدٌ، وتأسيسٌ لكيانٍ جديدٍ وحياة أفضل ...

« ثمّ انسؤا، وعيشوا... وابتسموا للحياة... للوطن... »

أما نحن، فجراحاتكم وأوجاعكم وأناتكم تؤرقنا...

ونجاحاتكم وإبداعاتكم وآمالكم تقوينا...

وتدفعنا إلى مزيد العمل والبذل والعطاء... »

الإهداء في حدّ ذاته نصٌّ يشي بالمعنى ولا يقوله، يثور ما في النفوس ولا يثور عليها...

وقد كان للمكان حضورٌ كبير في صفحة الإهداء إذ ينطلق من الموطن برقو سليانة ويؤكد على الانتماء بكلمة بلادي، لينتهي عند مفهوم أكبر ؛ الوطن...

المكان يرتبط باستحضار صورة العائلة ؛ الأمّ والأب في نصوص الشخصيات، والسيد محمد إذ يلتفت إلى المدينة برقو سليانة ويذكرها فإنما في آخر الأمر يستعيد هو أيضًا صورة..... « الوطن ».

ولا يخفى على القارئ ذي العينين أنّ دِكْرَ المكان أيضًا ليس اعتباطيًا وإنّما هو  
 جُدة أخرى للقارئ حتى يتسلّح بالقوّة وهو في موقعه ؛ فيرقو أو الرّبع كما يسمّيها  
 أجدادنا لها دلالات كثيرة ؛ الرّبع هو المكان يربع ربعا اطمأنّ، والرّبع المنزل والدّار  
 بعينها، والوطن متى كان وبأيّ مكان كان، والرّبع هو المنزل ودار الإقامة، والرّبع هو  
 المحلّة، والرّبع هو جماعة النّاس، والرّبع هو المكان الخصب...

يدعونا السيّد محمّد للتمرّد على لحظة الضّعف والشّعور باليأس، ويزرعنا في تربة  
 هذا الوطن ليذكّرنا بأننا أحياء ما دمنا في أوطاننا... حبّ كبير للوطن نترجمه الألفاظ،  
 فالوطن هو شهادة الإثبات لكوننا موجودين كبشر لهم كرامة، وهو شهادة الميلاد،  
 وهو الدّلالة بأننا نحيا لنصنع تاريخًا.

أستاذنا يفجّر الكلمة ويترك للقارئ أن يفجّر المعنى، ولكلامه ألف معنى ومعنى...  
 الوطن هو حبّ، والسؤال عن الوطن تأتي الإجابة عنه:

« ونجاحائكم وإبداعكم وآمالكم تقوينا... »

وتدفعنا إلى مزيد العمل والبذل والعطاء... »

حبّ الوطن عنده حبّ حارق، وسؤال مربك، تنأى الإجابة عنه عن كلّ إقناع،  
 لذلك يظلّ الحديث عنه بلا حدود وهو ما عبّر عنه بنقاط... متتالية... فالصّمت  
 أفنّع من الإفشاء بالمعنى أحيانًا.

وهو حبّ يعي جيّدًا طقوسه وتفصيله، هذه الطقوس التي تبدأ من الموطن ذاته ؛  
 يرقو سليانة، لتنتهي عند الوطن، فتتجاوز هذه العلاقة بمجرّد الانتماء والأحاسيس ولا  
 تقف عند عتبة الاعتراف بل تجرّه وترغمه على الفعل والعمل والبذل والعطاء.

## المحتوى

لا يمكن بأي حال قراءة هذا العمل والحديث عنه من الخارج، وإنما ينبغي تأملُهُ من الدّاخل للظّفَر بقوانينه الدّاتيّة ؛ فلئن اختلفت هذه المقالات في الظّاهر فإنّها تلتقي في مستوى المعاني والمعاناة والدّلالات، ولعلّ الذي يجعلها كذلك أنّ الزّمن هو الرّابط الأساسيّ لخيوطها.

فالزّمن الذي يتحدّثون عنه ليس شبيهاً بالزّمن الذي نعرف معرفة حسّيّة مادّيّة، ليس شبيهاً بالزّمن العاديّ.

الزّمن في كتاباتهم زمنٌ يخضع لمنطق خاصّ تتحكّم فيه انفعالاتهم وعذاباتهم، ويحكمه ضربٌ من الحوار الدّاتيّ بينهم وبين الذاكرة. فلئن اختلفت هذه المقالات في الأسلوب وطرق الأداء، فإنّها تنفق جميعاً في كونها تستدعي صوراً من الماضي ترسّبت في الذاكرة والوجدان.

ARCHIVE  
http://Archivebeta.Sakhril.com

كتاباتهم فعلٌ تذكّر، واستحضار، واسترجاع... وهو أحد الأهداف التي ولا شكّ أراد الوصول إليها السيّد محمّد.

أراد منهم، ومثلاً جميعاً، الانتصارَ على الزّمن عن طريق الكتابة، عن طريق اللغة. لغة تستعيد الماضي وتعيده حيّاً من جديد، وبذلك ينهض الزّمن من زوايا الذاكرة ويلقي عذاباتهم وأوجاعهم وجراحاتهم، وتصبح الأزمنة، كلّ الأزمنة، حاضرة بعد غياب.

إذ ونحن نقرأ نصّ التعليميّة :

صف (ي) الحالة التي كنت عليها والتي صرت إليها من النواحي

الاجتماعيّة والنفسيّة والماليّة والعائليّة...

بخامرنا سؤال :

لماذا تريد أن تفتح باباً لن يأتيك منه إلا الوجد مع أنك تريد الكتابة عن لعبة الواقع المرير ؟

فكان استحضار الوقائع توريطاً للشخصيات للخروج من هذا الواقع. اللعبة تبدأ، وتستمر، أو بالأحرى هي كانت مستمرة حلقة. ذلك هو أسلوب السيد محمد في توريط من حوله وشدهم.

فهو إذا سأل أربك وخلخل وحير، وإذا تكلم سحر وفتن فأعجب حدّ المفاجأة والإفحام. وهذا يعود إلى وعي السيد محمد بأن الكتابة فعل في اللغة قبل أن تكون اللغة أداة للكتابة، وهي نظام ما فوق لغوي، نظام يُستباح فيه كسر الحدود وتجاوز المعايير والخروج عنها.

وعنه حادّ بأن الكتابة هي فسح بحال للمنتج، ليشكل الكلام وفق نسق ما، يتمرد فيه على المعايير، ويعود إلى صياغة اللغة صياغة أخرى معجمها الواقع، سداها ألامنا أحلامنا، ولحمتها أفراننا أوجاعنا، معجمها بالنهاية... نحن.

« وفي منزلي هممتُ بإصلاح المقالات حسب المعايير والمؤشرات

المنصوص عليها بالبرامج الرسمية... »

« ولما انتهيتُ التفتُ إلى البرامج الرسمية، فالفيتُ المعايير

تطرقُ حيَاء... »

« وإذا معاييرُ أخرى تفرض نفسها عليّ فرضاً... »

« هممتُ » ؛ قالها من وحي الآية : « ... ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه... » (يوسف، 24) ؛ هو أيضاً أوشك أن يقع في المحذور ؛ أن تغلب عليه صفته المهنية... لولا إطرارق المعايير وحيائها من أن تصلح لتقييم هذه الشهادات، ولولا فراز المؤشرات خوفاً من مواجهة زخم الأحاسيس والتجارب الحارقة المريرة...

لا توجد لفظة جيء بها بالصُدفة، ولا كلمة وردت هنا أو هناك اعتباطاً...  
فَمَثَلُكَ يا سَيِّدي « أمراء للكلام يصرفونه أُنَى شأؤوا، ويجوز لهم ما لا يجوز  
لغيرهم، ويجوز لهم من إطلاق المعنى وتقييده، ومن تصريف اللفظ وتعقيده،  
وَيُخْتَجُّ لهم ولا يُخْتَجُّ عليهم. »

\*\*\* كما قال الخليل بن أحمد \*\*\*

الكتابة هي ذات لغوية لدى السَّيِّد محمد تشكّل باللغة وفي اللغة. وهي  
أيضاً ذات ثقافية، وذات تاريخية، واجتماعية.

ولتشظّي الكتابة صلةً بتشظّي الذات وتمزُّقها وصراعاتها الباطنية، وصراعيها مع  
العالم الخارجي والْبُنى الدَّهنية. وتتالى الأسئلة في هذه المقالات، تترى أسئلة ضمنية  
غير مصرّح بها عن علاقة الذات بالعالم وعلاقة الذات بالذات. وتتبدّى مساحات  
من الصّراع الداخلي والتوتر ما بين القوة والضعف، والإمكان والاستحالة... وتكابد  
الشّخصيات الكثير من أجل استحضار الوقائع والانتصار عليها بالكتابة، بالإبداع في  
الكتابة.

وقد ترغب الذّاكرة في نسيان واقع تخشاه، لذلك لاحظنا أنّ كلّ الشّخصيات  
الواحد والعشرين يسعون جاهدين إلى استحضار الماضي لكنّهم قد لا يقدرّون على  
استحضاره في شكل متماسك، ولا غرابة ما دامت المدة الزّمنية الفاصلة طويلة، وما  
دام الوجد مستمراً بين سنوات طوال من البطالة والانتظار، وبين تعب الذات نفسياً  
ومالياً وعائلياً واجتماعياً، لأنّ من يكتب يا سَيِّدي يحمل في أوراقه ذبحته القلبية،  
وذبحته النفسية والمالية والعائلية.

ولكنّهم يرفضون أن يفهموا أنّ ذبحه شابنا أبداً ليست بقضية شخصية، فهي  
قضية أجيال وأجيال، قضية شعب احترق شبابه على قارعة الطّريق، قضية وطن.  
مواجهة كبرى !!! مواجهة هذا المجتمع من الخارج، ومواجهة ذواتهم من داخلها.

نعود مجددًا إلى ثنائية الدّاخل والخارج... وهي لعبة وقفنا عليها منذ البدء، من صفحة الغلاف.

فأطلقوا العنان للكتابة، وفي الحقيقة هي لحظة تشقى فيها الذات بحثًا عن أملٍ لم يكن سوى سراپ لبعضهم، في حين كان نورًا ضئيلًا للبعض الآخر. وما أشدها لحظة وما أقساه موقفًا وهم يستنطقون الذّاكرة. فالصدق مات، والأمان فُقد، وزمن الأحلام ولّى وانتهى، وتُرفع الأيدي بالدّعاء:

«اللهم يا من إذا تضايقت الأمور رجعت إليه، وإذا كثرت الحوائج رفعت إليه، إذا أغلقت الأبواب فُتِحَ بابُهُ...».

وما أوسع رحمته فهو التّور الوحيد الذي يجعل عذاباتنا تضحل... وإذا بصوت الإيمان يرتفع بداخلهم يذكّرهم بأنّ الله موجودٌ « سَلِمْتُ أَمْرِي لَهِىَ وَتَسَلَّحْتُ بِالصَّبْرِ » ؛ « أَخَذْتُ الشَّيْءَ مِنْى... رَقَّتْ بَعْدَهَا الْأَقْدَارُ لِي. » ؛ « وَأَخِيرًا اسْتَحَابَ اللهُ لِدَعَائِي وَابْتَسَمَ الْحَظُّ لِي. » ؛ « وَحَدَّثَ اللهُ عَنِّي وَجَلَّ لِأَنَّ أَحْلَامِي وَطُحُوحِي أَخِيرًا قَدْ تَحَقَّقَ. » ؛ « وَكُنْتُ أَحْمَدَ اللهِ عَلَى مَا بَعَثَهُ لِي مِنْ حَيَاةٍ جَدِيدَةٍ وَأَمَلٍ كَبِيرٍ فِي الْحَيَاةِ إِيْمَانًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى "لَنْ يَصِيَّبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَنَا". ».

وتبتسم لهم الحياة، ساعتها فقط تستسلم الأنفس لقدرها، قدّر بينه شتات أنفسهم، وتبكيه آلامهم.

وما انفلت القدّر يُدْمِي بأحداثه هذه النفوس المتعبة حتّى كانت هذه المقالات المكتوبة بين أيدينا، وستكون بين يَدَي كُلِّ قَارِئ. وللأسف الشّدِيد هي قصّة عمر مملوء بالقهر. وكتاباتهم تبقى نصًّا مفتوحًا تحييه القراءات ولا تقتله، وحتّى تكون الكتابة فعلًا يتجاوز كلّ الحدود.

● سنَدّ وتعلّيم، وطريقة ذكيّة في إرباكنا وتوريطنا للخروج من أغلال الصّمت الذي حاصر هذه النفوس حتّى سكنت عن الكلام حدّ الصّيام.

● ودعوة شجاعة للاستمرار في الزّمن للفعل، للبذل، للعطاء.

● ورحلة يأخذنا فيها السيّد محمّد من جديد إلى لحظة يقودنا خلالها الحنينُ إلى أيّام الحلم، أيّامًا رسمتنا أطفالًا صغارًا نشأتنا فيها للدراسة، للقسم، للوح، للطباشير وللأقلام الملوّنة...

الشّخصيات في مواجهة بين معضلة الكتابة واستنطاق الذاكرة. والسيّد محمّد يواجه بدوره أخطر معضلات السرد على الإطلاق، فهو ينسج علاقة بالشّخصيات من جهة وبنفسه كمؤلّف من جهة ثانية، كما يواجه معضلة الكتابة عن زمنٍ منتهٍ داخل سيرورة غير منتهية، بل إنّهُ ينزع عن عاتقنا كلّ المتاعب، ليحملها على عاتقه هو، بمفرده، ويدفعنا ويشجّعنا لنمضي قُدّمًا إلى الأمام، ثمّ إلى الأمام، ولا غربة في ذلك وقد تعودنا منه راحة الصّدور.

وقد ارتبط اسمه الكامل أيضًا بدواخلنا؛ فإذا نحن نستمدّ:

من «محمّد» معنى الحمد والقناعة؛

ومن «فوزي» الفوز والنّجاح؛

ومن «غاثي» الظفر بالغنيمة بعد كدّ وتعب وجهه عسير؛

وهو ما ترجمه هو بقوله «الإبداع»...

كتابك يا سيّدي قصّة طويلة نهايتها مفتوحة، فهو قصّة مجتمع ينزف وينزف وينزف !

لأنّ ألف شابّ وشابّة، وألف أسرة وأسرة، وألف أمّ وألف أب، و... و... و... كلّهم داخل فقرات كتابك، كلّهم داخل المقالات الواحد والعشرين. كلّهم هذا الصّمت الحزين، لكنّك تسعى جاهدًا أن ترسم الحلم بدواخلنا بخطوط عريضة داخل قلوب عاجزة عن التبليغ لأنّها لم تستطع أن تترجم ما بدواخلها من إرهاصات إلى كلمات منطوقة، بلّة إلى شفرة مكتوبة...



كتابك يا سيدي نصٌّ مفتوحٌ على نصوصٍ أخرى، في ما يُعرَفُ في الأدب والأسلوبية والتقدُّم الأدبي بظاهرة التناص « *L'intertextualité* »، ولعلَّ هذا النصُّ خيرُ مثالٍ على ذلك :

النصّ : « البحث عن عمل » ؛ لميخائيل نُعَيْمة (بتصرفٍ)

وقبل أن أختتم قراءتي...

أريد أن أستسمحكم في أن أفيدَ ببعض التوصيات في مادة الإنتاج الكتابي إلى المتربِّصين، ولعلِّي في ذكرها أكون كائنِي قد حضرتُ لقاءً تكوينيًا تمثيْتُ لو كنتُ أحدَ الحاضرين فيه بالفعل. وأكون قد عبَّرتُ عن وفائي لثقتكم في شخصي لأحمل الرسالة بكلِّ مسؤوليَّة وأمانة وشرف :

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhr.it.com>

الإنتاج الكتابي :

- جعل المتعلِّمين يمارسون النشاط الكتابي خلال مختلف أنشطة اللغة العربيَّة.
- دعوة المتعلِّمين إلى أخذ صعوبات المتعلِّمين بعين الاعتبار عند اختيار المحامل المعتمدة في الكتابة.
- برجمة مشاريع فصل يختارها المتعلِّمون وتكون دالَّة وذات علاقة بمعيشهم لضمان انخراطهم وخاصةً منهم ذوي الصَّعوبات في الإنتاج الكتابي.
- تشجيع العمل التعاوني بين المتعلِّمين لضمان المساعدة المتبادلة.
- دعوة المتعلِّمين إلى التبليغ كتابيًّا في مختلف الأنشطة وفي جميع المجالات.
- ضرورة تدريس الإنتاج الكتابي وفق مقارنة تواصلية تعتمد التعبير عن وضعيات مستمَّدة من الواقع المعيش وتكون محفَّزة ومرغَّبة.
- ضرورة الرِّبط بين القراءة وقواعد اللغة والإنتاج الكتابي.

- ضرورة توخّي التدرّج في الإنتاج الكتابي وفي معالجة الصّعوبات التي يمكن تذليلها في حصص قواعد اللغة والقراءة.
- يجب توظيف وثائق المتعلّم (كتاب التمارين) بانتظام، وعلى المعلم أن يتعقّب إنتاج المتعلّمين ليحدّد الصّعوبات الحقيقيّة، ويضع الخطط العلاجيّة المناسبة آجلاً وعاجلاً.

إنّا لا نريد بهذه القراءة تقييماً لعمل مثلنا الأعلى السيّد محمّد ولا تلخيصاً له، وإنّما إضاءة تمثّل أساساً في قراءة هذا الكتاب قراءةً مختلفة تجعل من كلّ قارئ كاتباً آخر للنصّ ومؤلفاً يصوغ هذا العمل صياغة مختلفة أو متّمة أو حتّى متعارضة مع الصّياغة الأولى. لكنّها في النهاية تثبت قدرة السيّد محمّد على أن يفعل في نفوسنا فعل السّحر والقدرة على الفعل وعلى الإرباك.

هكذا ينتهي مشواري مع كتابك يا سيّدي وصراعي المرير مع ذاكرتي وقلم يستنزف فكري وكلّ قواي ليجدّد عشقي للكتابة.

فضع كفّك يا سيّدي على كلّ كلمة كتبت، وأنصت إلى صوتي، وأصوات قلبي وحريري وأوراقتي.

لعلّها محاولة لأصنع وجه الألم... الجرح... الوجع...

ليكون الحلم... الفرح... الإبداع...

شكراً شكراً شكراً

مع تحياتي وتقديري واحترامي



## شخصية العدد

# المربي اللامع والأديب الأريب: أحمد عبد الوهاب الهاني

## إعداد: عبد القادر الهاني

أحمد عبد الوهاب الهاني صاحب شخصية متميزة تجمعت فيها من الخصال ما لا يتمتع إلا لدى القلوب الكبيرة والنفوس الأبية، ولد بالقنارة من مشيخة سيدي حمادة في معتمدية سليانة الجنوبية في 31 جويلية 1931، وزاول تعليمه الأول في الكتاب على يدي المولود كائن الطيب الشيخ علي بن الطاهر الحمادي، ثم على زميله الشيخ صالح بن شلي الحمادي، وما إن أم حفظ القرآن حتى انتقل إلى تونس العاصمة فانضم إلى طلبة جامع الزيتونة المعمور، وفيه حصل على شهادة التحصيل والعالمية بملاحظة حسن، الأمر الذي مكّنه من الانضمام إلى سلك مدرّسي الجامع الأعظم وفروعه الوقتيين فيما يعرف وقتئذ بالمشائخ العاملين بالنقطة. ولم يستمر في هذه الوضعية طويلا فغادرها وسافر إلى القاهرة، حيث انضم إلى طلبة جامعة عين شمس حيث تخرج منها بالإجازة في اللغة العربية. فعاد إلى تونس، فسمي أستاذا في مادة العربية في مكث وباجة، ثم في بنزرت. وفيها جميعا ترك أثرًا طيبًا وسمعة تتمناها كل نفس أبية.

للقوف على جملة هاتيك الخصال الحميدة نعرض على القراء الأفاضل وثائق أربعة وجميعها مؤرخة وموثقة:

**الوثيقة الأولى:** رسالة بعث بها الأستاذ: أحمد عبد الوهاب الهاني إلى مجلة الإنحاف عند صدورها سنة 1985 يحث فيها صدور مجلة الإنحاف ويرجو لها دوام الحياة كما يعرب فيها عن استعداده لدعمها ماديا وأديبا وقد نشرت هذه الرسالة في العدد الثالث من مجلة الإنحاف ص 83.

**رسالة الأستاذ: أحمد الهاني**

**حضرة الأخ الأستاذ: عبد القادر الهاني**

**تحية طيبة**

لقد أسعدني بما إسعاد اتصالي "بتحفة" -الإنحاف- ومن أجل ذلك أشكر لكم -شخصيا وكهئية- هذه اللفتة الأصلية الكريمة التي تعبر فعلا عن الرغبة الصادقة في تحذير هذا الوليد البهي، عن طريق تعريف أصيلي الجهة حيثما وجدوا به ليتحمل كل مسؤوليته التي قد يكون مؤهلا لتحملها، لتنتقل الإنحاف من الجهوية إلى الشمولية، كما ينطلق الجدول الصافي الدافق إلى النهر ثم إلى البحر.

وما زاد في اغتباطي أن بروز هذا العمل الكبير من حيز المطاعم إلى حيز الوجود المحسم، سيكون فرصة عظيمة للذين كانوا يأملون في ظهور مثل هذه السجلات الجهوية التي تترأى فيها جهود الإنسان وإبداعاته الفكرية بصفة عامة -في جهة ما- حتى تكون لها مصادرها الخاصة وتراثها الخاص "المحفوظ"، الذي من شأنه أن يقاوم طوفان النسيان، والعفاء القاهر، الذي يصيب به الدهر المبدعين أو مظاهر الحضارة. التي تولد وتحيا، وتموت دون أن يكون لها ولهم في سجل التاريخ الأكبر مكان.

ومن شأنه أيضا أن يحدد المساهمات من حيث قيمتها وانتسابها في البناء الحضاري القومي أو الإنساني العام، وهذا ما يحقق للجهة ثلاثة أهداف مهمة على الأقل:

أولاً: حفظ التراث المهم من الحياة الماضية بقدر الإمكان في التاريخ بحيث عندما يريد الراغب أن ينظر فيه أو إليه يكون نظره في أرجاء مضاءة لا في أرجاء يلفها الظلام من كل جانب، وبذلك تسجل جوانب من تاريخ الجهة. وتظل المعرفة مقصورة على المدن أو على الدول وعلى من عاشوا في ظلها أما ما عدا ذلك فيبقى في الظل غلا إذا واتاه حسن الحظ. وقد أشار إلى ما يشبه هذا السيد: محمد الحبيب حمادي في موضوعه- التل العلوي- صفحة 33 سطر 8 من الإتحاف عدد 1.

ثانياً: إتاحة الفرصة للأجيال المتعاقبة لمعرفة أبحادها، فإن في ذلك لذة لها ونخوة، ومثلاً تضيء لها الدروب وتدفعها إلى التسامي واكتساب الثقة والاعتداد اللذين يمثلان أهم الأسس لتربية الشخصية الإيجابية الفاعلة.

وقد يقال أن: ضمير مجتمع ما أو العقل الجمعي كما سماه عالم النفس الكبير "يونج"، وهو يتحرك في مسيرته عبر الأجيال بورت صور حياته وبطولاته وخصائصه في تواريخ محلية وفي قصص وأساطير وضروب من السلوك- ناقلًا إياها إلى الأجيال في تواصلها الأزلي، وهذا صحيح. لكن ذلك مصيره إلى الاندثار إن لم تسجله الأقلام أو تحفظه الآثار بالمعنى المشهور في الاستعمال لهذه الكلمة.

ففي العالم اليوم قرى أو مدنا وأماكن يحج إليها الناس لأنها كانت مسرحاً لحدث عظيم، أو لميلاد عظيم شاء حسن الحظ أن يسجله التاريخ "بمعناه العام" سواء بالتاريخ، أو بالأدب للمحمي وغيره أو بالفن، رسماً، ونحتاً، ومعماراً أو بمصادر مقدسة.

بينما هناك أماكن وقرى أو حتى مدن عفى عليها الزمان فطواها النسيان لأن التاريخ لم يحتفظ لها بشيء بالرغم مما قد يتردد في ذاكرات أهلها من أخبار هي أقرب إلى الأساطير منها إلى أي شيء آخر.

ولقد صدق الشاعر العربي القديم حيث قال:

تلك آثارنا تدل علينا .. فانظروا بعدنا إلى الآثار

ثالثا : ما سيحتجيه شباب الجهة من منافع تتوفر وسائل نشر ما يدعون وما يحصلون بواسطته على الدربة فتكون بذلك أروع حافز وأجلى مرام.

بقي أن أذكر بعض الاقتراحات والملاحظات التي لا أخالها إلا متواجدة في مجال رؤاكم. أولا: أن يكون النصيب الأكيد من محتوى المجلة جهويا يخدم مصالح الجهة وتاريخها، وخصائصها الحضارية، بما في ذلك المجالات الاقتصادية والاجتماعية، والأدبية، والفنية، والعلمية، وحتى السياحية عن طريق كتاب لهم ما يقولون في تلك الميادين، ولا فرق هنا بين أن يكون الكاتب من الجهة أو من غيرها، المهم أن يكون ما يكتب من شأنه أن يثري تراث الجهة، ويعرف بالمنجزات فيها، على أن يبقى الباب مفتوحا للمواضيع العامة نظرا لاحتية فتح النوافذ على الأرجاء الأخرى: القرية والبعيدة.

ثانيا: ترصيع الإنحاف بطرائف، وأقوال مأثورة، تعبر عن أفكار عليا فيها الإمتاع والموانسة، والتربية، وأن يحتوي كل عدد على "شخصية العدد" من عظماء الإنسانية ترسم ملامحها الهامة باختصار مفيد، أو من عظماء الجهة الذين كان لهم أثر ما في جانب من جوانب الحياة، بالإضافة إلى تخصيص "قرية ما" في كل عدد أو من حين لآخر ومحاولة التعريف بما وبخصائصها، وبالدور الذي عساها تكون قد لعبته في المسيرة النضالية التحريرية... وذلك كله يقتضي بطبيعة الحال تضخيم حجم المجلة.

ثالثا: العمل على إقناع أهل الجهة بالمشاركة فيها أو شرائها. على أن يكون ذلك الإقناع والتشجيع: ينشر ما يحسون أنه يمتنعهم ويتحارب محليا مع خلجاتهم وعواطفهم وطموحاتهم والحماسية حتى تحقق المجلة الانتشار والاستمرار. وهناك ملاحظة ظرفية تتعلق بالعدد الأول أحب أن لا تفوتني، لقد لاحظت في العدد الأول بعض الأخطاء الفنية التي ترجع إلى المسؤولين عن الطبع والمشرفين عليه وعلى تنظيم المجلة في صورتها النهائية.

فمثلا ورقة 9 تتكرر ثلاث مرات وعنوان الموضوع "منزلة العلم في الإسلام" وكذلك الأوراق المرتبطة بها "31" تتكرر هي الأخرى ثلاث مرات وعنوان الموضوع "ملوث" ومن شأن هذه الأخطاء أن تسيء إلى الصورة الجميلة التي ينبغي أن ترسم في الأذهان عن المجلة.

وفي الختام أجدّد لكم شكري وتقديري لعملكم الجليل واستعدادي لمساندتكم مادياً وأدبياً، بما في ذلك الإسهام بالكتابة كلما سمحت لي الظروف. والله يوفقكم ويأخذ بيدكم.

الوثيقة الثانية: قصيد شعريّ للمربي والشاعر عبد القادر الغربي موجّهة إلى صديق العمر الأستاذ أحمد الهاني في ذكرى وفاته مؤرخة في ماي -جوان 1998 وهي منشورة بديوانه الممهور بـ "لماذا؟" نشر دار الإتحاف.

### إلى صديق العمر الأستاذ أحمد الهاني في ذكرى وفاته

منذ حللنا بياجة الخير كدحا	ونسجنا أواصر كالحبال
قد عشقنا الحياة روضاً ندياً	من رياض المحبة والجمال
لا يمرّ الزّمان فيها عقيماً	وهي رمز الخصوبة والخيال
من قديم العهد غذّت شعوباً	لا تبالي بمحنة أو محال
دعّمتمها بنزرت ثغر الأسود	وجلاء الأعداء صدق التّضال
فالتحقنا بمعهد الفنّ يوماً	ناشدين الرّضى وحسن الفعل
وانبرينا نشيد صرح العقول	ونعدّ الشّباب نحو المعالي
إلا أنّ الحمام خطب عظيم	هزّ في قسوة كيان الأهالي
إذ تراوى أخ عزيز علينا	عشنا بالقرب منه أحلى الليالي
كرّس العمر خادماً للعلوم	وغداة الحوار نهج اعتدال
ما رأينا لأحمد اللّطف صنوا	في تمام الوفا وعذب المقال
كيف تحلو الحياة من غير خلّ	ظلّ عبر السّنين فدّ الخصال؟
طيّب الله ترب سمح كريم	وسقى غيثاً ربع شهم الرّجال
ليس يلهيني عن رحيل أخي	لا قصيد ولا لذيق الوصال !!
فهو عون مؤازر في الصّعاب	وهو بدر مؤانس في احتفال

**الوثيقة الثالثة:** مقالة للكاتب الأديب الأستاذ محمد المني بعنوان أحمد عبد الوهاب الهاني، نشرها بجريدة الصريح بتاريخ الجمعة 14 أوت 2009.

**بين قوسين**

**أحمد عبد الوهاب الهاني**

هو من مواليد سليانة، وقضى آخر حياته بينزرت إلى أن وافته المنية. درس في جامع الزيتونة وانتقل إلى القاهرة ليواصل دراسته العليا بجامعة عين شمس إلى أن تخرج فيها وعاد إلى تونس حاملا الإجازة في الأدب العربي.

أصيب بمرض ألزمه إكمال سنوات العمل محافظا بمكتبة المعهد الثانوي بنهج باش حامية بينزرت فحولها من مجرد مكتبة لمناولة الكتب المقررة في البرامج المدرسية إلى منتدى أدبي، يجتمع فيها الأساتذة وبعض التلاميذ الذين يلمس فيهم الأستاذ أحمد عبد الوهاب الجديدة.

كان يحلو له أن يجلس في كرسيه وعلى طاولته المخصصة له دون سواهما. وقد جعل تحتها مصطبة حتى ترتفع عن مستوى بقية الطاولات المخصصة للمراجعة والكتابة.

جعل اسمه مكتوبا بخط بارز. وكان يصر أن يكتبه ثلاثيا على طريقة المشاركة. وقد يرتدي اللباس التونسي الأصيل أغلب الأحيان، ويستبدل الشاشية بالكلباك وكثيرا ما تراه حريصا على كيفية نطق الكلمات، فإذا جاءه تلميذ طالبا كتابا فيقول له أريد كتاب كذا..

(بتسكين الكاف) يطلب منه أن يعيد الطلب بعربية سليمة حتى يكسر الكاف بدل تسكينها.

كان يهزأ من مقررات التعليم ويعتبرها هزيلة لا تسمن ولا تغني.. وكان يسخر مما يكلف به الأساتذة تلاميذهم... كان -رحمه الله- رافضا لكل شيء ويريد أن يصلح



كل شيء، فكان يدخل في جدل مع أساتذة العربية فيخرج به الجدل من مناقشة المسائل الأدبية والبيداغوجية إلى السياسة في عديد الأحيان.

كان شديد الإعجاب بالعقاد فيصطحب كتبه من مكتبته الخاصة لمطالعتها في أوقات الفراغ. وأفضل الأوقات لديه هي التي يكون فيها الأساتذة في أقسامهم مع تلاميذهم. وكثيرا ما رأيته يقرأ كتاب الأدب المقارن لمحمد غنيمي هلال، لأن هذا الأخير كان يحذق سبع لغات، والعقاد تعلم الانكليزية حتى أصبح يجادل بها أهلها وكم سمعت منه هذه الكلمات، وكم رأيته بحث على ضرورة تعلم اللغات الأجنبية.

كان رحمه الله يحب ابن الرومي والمتني وشارا وأبا نواس. وهؤلاء عنده أفضل شعراء العربية. كتب عديد المقالات في مجلة الإتحاف فكان يفرج بصدور عدد من أعدادها، وبعد الفراغ من مطالعتها يضمها إلى بقية أعدادها التي قدمها لمكتبة المعهد هدية منه عسى يستفيد منها أستاذ أو تلميذ خصوصا وأنها كانت تفرد حيزا لأدباء البكالوريا. كل شيء فيه يدل على التأصل حتى سيارته الـ 305 التي نلقبها "زوبا" ويضحكنا شكلها ولونها تدل على انشداده للماضي وحبّه للعتيق.

أحيانا يسمح لنا بمناقشته وطرح الأسئلة عليه فيضحك من كيفية فهمنا وتقديرنا لبعض المسائل فيقلب المزمل إلى الجدل وينهي النقاش بدعوتنا إلى المطالعة والحفظ. يلجأ إليه العديد من الأساتذة للاستفسار عن مسألة لغوية وبلاغية ويستنجد به العديد منهم لمدهم بمراجع غير متيسرة، فكان كالنبيح الذي لا ينضب وكالكريم الذي لا يريد أن يرّد صاحب حاجة.

لا أعرف ما الذي دعاني إلى تذكر الأستاذ عبد الوهاب الهاني هذه الأيام فأحسست بضرورة الكتابة تحية له وقد فارقنا منذ سنوات رحمه الله.

الوثيقة الرابعة: تعليق للشقيقه الأستاذ المرحوم عبد الستار الهاني ورد في نهاية قصيده:  
"جبلي الشهم"، وهو القصيد الثامن في مجموعته الشعرية: "وقائع نحتتها الجبال" ص 39.

### جبلي الشهم

مثلما أنت في قديم خيالي	جبلي الشهم عمّمتك الليالي
ثوبك الأبيض المهيب الجلال	مثلما كنت ترتدي في شتاء
لهف نفسي فكم قضى من جمال	كنت تبدو بلبسه في بهاء
كنت تكساه في السنين الخوالي	وكم قضت هيبة وزال شموخ
في دوام وفي ازدهاء وتعالى	ثوبك الأخضر الذي ترتديه
وفي نعيم وحافظ للمال	أنت عون لأهلنا في ازدهار
ولتدم مسعدا لمقام آلي	فلتدم سالما جوادا شموخا

نظّمت هذا القصيد ردّا على حوار طريف جمعي بأخي المرحوم الأستاذ عبد الوهاب الهاني. فقد كان مولعا بجبل السرج ومنكبّا على تصويره بآلته الفوتوغرافية. وقد استقرّني ذلك فطلقت أنافسه بطريقتي الخاصة في التعبير عن انشدادي إلى جبل السرج.





## تراجم ومختارات لإبراهيم الدرغوثي

متابعة: محمد العايش القوتي

كتاب من قصة: تراجم ومختارات من إعداد وتقديم الأستاذ الروائي التونسي إبراهيم درغوثي رئيس فرع قصة لاتحاد الكتاب التونسيين ، الطبعة الأولى سنة 2013 المطبعة الثقافية المنستير تونس وأنجز هذا الكتاب بدعم من المندوبية الجهوية للثقافة بقفصة " المندوب الجهوي للثقافة بقفصة الأستاذ هشام الزبيدي"، وجمعية أحباء المكتبة والكتاب بقفصة ورئيس الجمعية الأستاذ سالم العبيدي، من الحجم المتوسط 300 صفحة وهذا الكتاب يورخ لكتاب الأجيال الحاضرة، هذه الأجيال التي أثبتت المشهد الثقافي القفصي منذ خمسينات القرن العشرين حتى الآن لتثبت لكل المهتمين بالشأن الثقافي والأدبي داخل تونس وخارجها بأن قصة ولادة على مدى الأزمان وبأن قريحة مبدعيها لا تنضب أبداً.

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ولم يقتصر في هذا الكتاب على ذكر الشعراء والروائيين فقط، إنما جاء شاملاً جامعاً لكل من أصدر كتاباً في كل فنون القول من الدراسات النقدية والاجتماعية والفكرية والثقافية والأدبية والرياضية والموسيقية والمسرحية والفنية وكذلك البحث في سير من فارقوا الحياة من المبدعين، خاصة الشعراء منهم الذين غادروا هذه الحياة الدنيا دون أن يتركوا أثراً منشوراً في كتاب فلقدها جاءت تراجم وسير ذاتية لهم.

مع ذلك فإن العمل والمجهود المبذول في هذا الكتاب يبقى منقوصاً من بعض مبدعي قصة لأنه لم يأت على جميع المبدعين بولاية قصة بالترجمة والذكر وإبائهم ضمن هذا الكتاب. وإنما هو بداية لعمل كبير يتطلب جهداً جماعياً و طاقة كبيرة وبحث دائم من أجل تفادي النواقص في طبعات الكتاب القادمة حتى يتم إيفاء مبدعي هذه الجهة ولاية قصة ما يستحقون من العناية والتقدير.

1- لقاء أدبي مع الروائي التونسي إبراهيم درغوثي:

نظمت جمعية أحباء المكتبة والكتاب بالمتلوي (رئيسة الجمعية الأستاذة انتصار قتلاي وأمانة المكتبة) يوم السبت 15 مارس 2014 بفضاء المكتبة العمومية بالمتلوي حي الرئيس اللقاء الأدبي مع الروائي التونسي إبراهيم درغوثي وتم تقديم كتابه (كتاب من قصصة) وإبراهيم درغوثي مولود بالمحاسن (توزر) يوم 1955/12/21 وهو الآن يقيم بمدينة أم العرائس المناجم للفسفاط ولاية قفصة منذ سنة 1977 ويشغل حاليا خطة مدير مدرسة ابتدائية بأم العرائس -عضو باتحاد الكتاب التونسيين منذ 1990 رئيس فرع قفصة لاتحاد الكتاب التونسيين- عضو بالهيئة المديرة لاتحاد الكتاب التونسيين ونائب رئيس لاتحاد التونسيين لعدة دورات. صدر له من الكتب والمؤلفات:

1- النخل يموت واقفا (قصص)

2- الخبز المر (قصص)

3- رجل محترم جدا (قصص)

4- كأسك يا مطر (قصص)

5- تحت سماء دافئة (قصص)

6- منازل الكلام (قصص)

الروايات:

1- الدراويش يعودون إلى المنفى

2- القيامة الآن

3- شبايك منتصف الليل

4- أسرار صاحب الستر

5- وراء السراب ... قليلا

6- مجرد لعبة حظ

الجوائز :

1- جائزة الطاهر الحداد في القصة القصيرة (1989)

2- الكومار الذهبي جائزة لجنة التحكيم (1999) عن رواية أسرار صاحب الستر

3- الكومار الذهبي لأفضل رواية تونسية (2003) عن رواية وراء السراب ... قليلا

4- جائزة المدينة للرواية (2003) عن رواية مجرد لعبة حظ

وفي هذا المجال نشكر الأستاذ إبراهيم درغوثي على العمل والمجهود الذي بذله في هذا الكتاب، ورغم ذلك هناك هنات وأخطاء وقع فيها المؤلف، حبذا لو اتصل بالمبدعين لأنّ هناك غياب لصورهم وسيرهم الذاتية وكذلك نقصا من بعض مبدعي قفصة لأنه لم يأت على جميع المبدعين بولاية قفصة بالترجمة والذكر والثناء ضمن هذا الكتاب كما أن هناك نقص في ترقيم الصفحات وفهرس الكتاب، وإنما هو تفادي النواقص في طبعات الكتاب القادمة حتى يتم إبقاء مبدعي هذه الجهة بولاية قفصة ما يستحقون من العناية والتقدير.

## 2- التظاهرة التشيعية بعنوان (حياتك بين يديك)

تحت إشراف وزارة الشباب والرياضة والمندوبية الجهوية للشباب بقفصة ودار الشباب بالمتلوي نظم نادي التشيع المروزي بدار الشباب بالمتلوي تظاهرة تشيعية تحسيسية تثقيفية تحت عنوان (حياتك بين يديك) بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للحماية المدنية وذلك يوم الجمعة 7 مارس 2014 بدار الثقافة بالمتلوي والبرنامج من إعداد المنشطة أمل السحيمي واحتوى البرنامج :

-تنشيط إذاعي - معرض وثائقي يحتوي على أوعية تحسيسية تثقيفية متنوعة، وبث ومضات تحسيسية حول الموضوع - نشاط تحسيسي في الهواء الطلق- مشاركة مجموعة من الأطفال في حصّة توعوية تكوينية في الإسعافات الأولية للتخفيض من عدد الضحايا والحد من الإعاقات -إسعافات أولية: بسيطة: حروح-حروق-كسور -أوضاع السلامة-الانتعاش المزدوج وقد شارك في هذا النشاط أعوان حرس المرور وأعوان الحماية المدنية والادارة الجهوية للحماية المدنية والجمعية التونسية للوقاية من حوادث الطرقات و المدارس الابتدائية بالمتلوي ( السلامة هي الغاية ... هدف ليس له نهاية ).

## غراب

شعر: عبد السلام لصيلع

سخيف المنظر

(3)

غراب معتوه

همجيّ

فوضويّ..

قدر

أشعث

أغبر

(4)

غراب ساقط..

كاذب

فاسق

ومنافق..

بارع في الخديعة

والمكر

(1)

غراب غريب..

عجيب..

بشع

جشع

إمّع

عيناه خستة

لهفة

طمع.

(2)

غراب قبيح الصّوت

والهيئة،

رديء الشّكل

عديم الأصل.

غراب مخيف المنظر

والفكر،	والغدر..
من أين جاء؟؟	(5)
لا أحد يدري؟	غراب
(7)	قذفته رياح الصدفة
غراب،	إلى أجوائنا
من خارج الأمكنة والزمن	وديارنا
معقد في الجبن	متسللا في الليل
مرتبك	من وراء البحر
مرتعش	(6)
دنيء	غراب، <a href="http://Archiveeta.Sakhril.com">http://Archiveeta.Sakhril.com</a>
وقميء	تسلل في غفلة من الوقت
أنكرته فصائل الطير،	والناس
لا تحبه غرابان الكون...	والتاريخ،
تشمئز منه..	فاقد اللسان
ترفضه..	والبيان
(8)	والعقل
غراب بلاء، علينا نزل...	والضمير..
لا شبيه له...	والقلب

والتدجيل،	لا ماضي له...
لا يعرف الأصول..	لا حاضر
أحمق	لا مستقبل.
غبي	(9)
دعي	غراب مهرج تافه
وجحود	أناني
(11)	بائس
غراب يبيع الشؤم والنحس...	وتعيس..
يوزع البؤس	لا صاحب له
والياس،	لا أنيس..
توأم للعار	(10)
والشر	غراب لثيم
عليه اللعنة	زئيم
من السماء إلى الأرض	أثيم
أشاع الفتنة	وحقود
والفرقة	ليست له مواليق
والنقمة	ولا عهود.
والفقر	يحترف التزييف



لا يغادر أوكار الشياطين

(14)

غراب ..

ذيل وذليل ..

منبوذ

فاشل

وجهل ..

هو غراب

ليس له مثل

(15)

غراب متقلب

بهلوان

بليد

مستبد

وجبان ...

غراب يكره الإنسان

والحيوان

والجوع

والعراء

والدَّاء

والموت

والتخلف

و الخراب

تبا لهذا الغراب

(12)

غراب ليس له وجه

لا ذمة

ولا همة

كيف أتى إلينا؟؟

كيف بقي بينا؟؟

(13)

غراب ظالم لا يخرج

من مستنقعات الإفك

والحشرات

والثعابين ..

يحاول أن يكون عبقريا

في السياسة

فلا يفهم

ولا يتعلم.

آخ منه،

ومن السياسة..

ومن سمسرة السياسة.

(19)

غراب

لا يخجل

لا حياء له..

وقح،

لا مشاعر له،

عالة

لا يعمل.

(20)

غراب غير مرغوب فيه..

لا يعرف ماله

(16)

غراب،

فاقد للصواب.

أفّ منه..

كثرت غرائبه

معه جاء الجراد

عاد الفساد..

واستوطن الإرهاب..

(17)

غراب،

لص في الظلام..

يبيع الوهم

ويذبح الأحلام.

(18)

غراب،

خبير في الدساتس

والهواجس

والوساوس،

يختفي،	وما عليه؟
يعود هاربا	(21)
من حيث أتى..	غراب،
هذا غراب انتهى.	في سنواته العجاف..
(24)	معه زحف الجفاف.
ربنا،	(22)
يا واهب الماء	غراب،
للتراب.	سجين في نزواته
أرح البلاد	وشطحاته
و العباد	(23)
من هذا الغراب	غراب ،
(25)	يفرق في عاره
ربنا	وناره...
أرح عن تونس	في فساده
هذا السواد	ورماده..
هب لها الحياة	يفرق في نوباته
والسلامة	وخيباته.
والنعمة	يعرف أنه لا شيء

(29)	والعزة
تونس تعلو	والرشاد
في حضرتها	(26)
وخيرها..	الله أكبر،
وروعتها.	يترنح الغراب..
(30)	أحزانه أنهار..
تونس تصبر	يتخبط ضد التيار،
لا تنكسر	وينهار.
(31)	(27)
لا تنهزم تونس،	الله أكبر،
تتقدم..	تبقى تونس
وتنتصر.	ولا تنهار
(32)	(28)
تنتصر تونس	الله أكبر،
بالشعب والشباب...	تبقى تونس..
وينتحر الغراب.	تكبر،
	وتزدهر.

## قراءة في الجرح المفتوح

شعر: مختار المومني

إلى شهداء العملية الغادرة بجمال وروعة بالكاف

لها لون المواشي  
والعيون عتش فيها السهاد  
وفي النفوس الحيارى  
تزوبعت رغبة للبكاء  
إلى أين نمضي ؟!  
فالحرائق تأكل أطرافنا  
والغول يأكل أبناءنا  
والساسة هم الآن  
على الكراسي المريحة  
ينأون عن الناس  
وهذا الوطن  
إلى أين نحن ؟  
أسأل هل نولد ثانية  
أم نبقى جنثا  
نرحل في سحب الأكفان ؟!

إلى أين نمضي ؟!  
فالقطار أنهكه السير  
والمحطات ملغمة  
والبلاد  
لم تعد هي البلاد  
ولا الناس عادوا كما كانوا  
إلى أين نحن ؟!  
فهذا الربيع سالت دماه  
وقد هاجمته الذئاب  
والبلاد يسكنها الغول  
والدروب حتوف  
والساسة الآن لهم شهوة الاختلاف  
وحب الجidal  
إلى أين نحن ؟!  
وهذي الوجوه

## ...وموت العرائس أيضا

### الناجي الوافي

" إي . رهيب هو الموت يا ربي

رهيب. رهيب. رهيب

وأرهب منه على الإطلاق موت الأطفال

وموت المرضعات ... " "ميخائيل نعيمة"

من دار إلى دار

وتضيء الشموع، وتشرق الأنوار

ويلتقي الليل بالنهار.

وكنت ترى الشباب الراقص

على نغمات الطبل والمزمار

أو المزود والطار

وقد بلغ به الانتشاء أقصاه

وكانه حقق من الدنيا مبتغاه

ناسيا كل ما يعاني من مشاكل وهموم

غافلا عما يخبئه له القدر المحتوم

ولسان حاله يقول

كم هي حلوة هذه الحياة.

في تلك الأثناء

وحول هاتيك الأرجاء

كان زائر خفي

رسول و ليس بنبي

منذ سنة، حددت المواعيد،

وانطلقت الاستعدادات

- كما هو شأن كل البنات -

لليوم السعيد.

وأقبل شهر الأعراس

فيه يلتقي معظم الناس

من أهالي القرية

للإصطياف،

واقامة حفلات الزفاف

بعد انقضاء رمضان،

وقبل العودة إلى مدارج العرفان.

لذلك لا جرم أن يتزاحم العرسان

وأن تتقارب المواعيد

فلا يكاد ينتهي عرس

حتى ينطلق آخر جديد

فتنتقل الفرحة

وكل من علم بالحادث الذي أودى  
بحياتها.  
اغتيلت الفرحة وانطفأت الشموع  
وتفطرت القلوب وانهمرت الدموع  
وكاد الصبر ينفد  
والقلب يقنط  
لو لا نفحة من الرحمان  
وشحنة من إيمان  
وقيس من نور القرآن  
بأنه لن يصينا  
إلا ما كتب الله لنا  
وأن هذه الدنيا دار ابتلاء  
وكل ما فيها إلى الفناء  
فرجحت كفة الميزان  
وأعادت إلى النفوس  
شينا من السكينة والاطمئنان  
فكلنا ميتون  
ونحن بذلك مقرون  
وبالله مؤمنون  
ولكن موت العرائس، رب المتون  
فإنا لله وإليه راجعون  
وإنا لفقدك يا ألفة،  
لمحزونون .

يقطفى الآثار  
ويتربص بالأعمار  
يسمى لتعكير الصفاء  
وتغيير الأجواء  
وكأنه استكثر على القوم فرحتهم  
وحسداهم على سعادتهم  
فتحين الفرصة ليضرب ضربته  
ويحقق رغبته  
بأن ينغص على الجمع طقوسهم  
ويختطف منهم عروسهم  
في يومها الرابع  
وقبل حلول " السابع " .  
وانتشر الخبر السريع  
عن الحادث المريع  
وعمت المصيبة  
بموت الحبيبة  
في لحظة رهبة.  
حل الحزن والحسرة،  
والدهول واللوعة  
في قلب أمها وأبيها  
زوجها، وسائر من يؤويها  
إخوانها وأخواتها،  
وأعمامها وأخوالها وخالاتها،  
وأقربائها وجاراتها،

## العمق المفقود

### قصة: جميلة الشريف

#### الفصل الثالث

صراع مرير يحدث داخلني... كيف لي ان أنجو من براثن الذئب الجائع هل أغادر المنزل؟ وما حجتى؟ هل أتجاهل ما حصل؟ ومن يضمن لي عدم وقوع السوء؟ على طاولة الفطور كان هادئا رصينا على غير عادته. استغربت الخالة مريم تودّده المبالغ فيه... لأول مرة يسكب القهوة في فنجانها ويطلب منها الجلوس بجانبه... أرقه انتظار ردة فعلي... اضطرابه الدّاخلي فضحه...

كان يهرب متى كلّما التفت عيناى بعينيه...  
"للصمت ضحيج يحطّم ضلوع الصمت" لذلك خشيت الاحتراق بنيرانه وصارحت الخالة مريم بأني اشتقت لوالدي وأني أنوي العودة وربما أنغيب عن المعهد أياما.

الذئب لا يكفيه ذبح فريسته وإنما يتلذذ بتمزيق لحمها لذلك كثر القنّاص عن أنيابه عاويا:

\*"شكونهم بوك وأمك اللي تتحدّث عليهم يا طفلة؟"

\*"بابا صالح وأمي شريفة"

\*"آ، إمالة آنست ببوك صالح وأمك شريفة يا ... يا شريفة".

حدثته الخالة مريم بنظرة عتاب وارتبكت ثم أشارت عليّ بحمل حقيقتي ورافقتني إلى الباب الخارجى... أودعت في كفي مبلغا ماليا وسألتني أن أبلغ سلامي لوالدي.



رجع صدى تحكّمه بمزق قدرتي على التحكّم في نفسي. تواتر التساؤلات يفتّت ملكة تفكيرتي، والرغبة في ملاقاته أبي وأمي تستبدّ بي... تنبت بجسدي الثائر جناحين.

دفعت باب الكوخ بعنف وانقضضت عليهما بالأسئلة... حتّى اعترفا بأنّي لست ابنتهما الشرعيّة.

أحسست لحظتها بمشاعر التّقمة تنمو داخلي متسارعة... تبتلعني... اجتاحتني نوبة من الضحك ثم استبدّت بي نوبة من البكاء المرير.. حققت نظراتي عليهما وامتلاّت بكلّ الغضب.. حرّيت نحو المرأة أبحث عن وجه الشبه بيني وبينهما.. زأغت عيناى في قسّات وجهي ثم بصقت على صورتي التي تصرخ عارا.. شعرت ببركان من الغثيان ينفجر داخلي، وخيل لي أنّي سأتقيأ فؤادي.. وغادرت الكوخ أجري باحثة عني في عيون المشراب.

كان اليوم الأول من رحلة التمرّد مضنياً، ظللت أجوب الشوارع في غير هدى، وأصوات الباعة الممتزجة بأصوات منبهات السيارات والحافلات تلغي قدرتي على التفكير والتوازن.. كانت وقوداً يلهب النار المتأججة داخلي، فأختنق بدخانها وأفقد السيطرة على توحّش سلوكي فأجري في غير وعي... أتلفظ بكلمات صاعقة.. مسّب وشتّم وتحقير لكلّ من كان يعترضني ويحاول أن يهدئ من روعي.. خالني الجميع معتوهة فانطلقت من شفاههم عبارات التأسّف ومن أعينهم نظرات الشفقة.. أتذكّر جيّداً كلماتهم المثيرة.. قالوا "يا لطيف.. والله صغيرة وحليتها... زعمة وينهم والديها هاذي...؟"

ولا أنسى ما صدر عن شابين من خطاب بائس.. قال الأوّل "ملاً تحفة! أما خسارة مضيّعة عقلها" ... وصاح الثاني "تبّعها... تبّعها... ما أتلفهاش... مجنونة أما عسلة"

لم أشعر بخوف أو ارتباك وإنما بالفطرة ركضت بسرعة.. كانت الطريق تضيق مِنِّي وسط الزحام وارتفاع أصوات المازة وكثرة المنعرجات والأنهج والواجهات... وشيئا فشيئا وجدتني في زقاق ضيق تنبعث منه روائح نتنه وأصوات غريبة.. وتفاجأت برؤوس بشرية تطلّ من النوافذ... ونساء شبه عاريات ينتصبن بعنات الأبواب ويعرضن أجسادهن بحركات مغرية... كانت الوجوه غريبة الملامح.. تحمل تفاصيلها تحذيرا صارخا من التوغّل في ذلك الزقاق.

لم أميّز نبرات أوّل صوت دعائي للتوقّف... كانت نبرات مفضوحة عهرا.. كلمات متقطعة متبوعة بلهات بشري يشبه لهات البهائم وهي تتزاور في الخلاء.. وضحكات متملّقة تقطر ميوعة.. وآهات تصارخ شهوة رخيصة. تجاهلت صوت عقلي الذي يأمرني بالفرار وتقدّمت من صاحب الصوت وبى رغبة في اكتشاف أي نوع من المخلوقات هو؟

كان رجلا في هيئة أنثى .. عينان زائفتان ووجنتان ورديتان وشفتان منفحتان تخرج من بينهما طقطقة علكة يلوّكها بعنفوان شاب شبقِي ورغبة امرأة عاهر. مدّ يده وأمسك بأصابعي ثم تأمل مختلف أجزاء جسمي بشهوانية مفضوحة وأرسل آهة عميقة قائلا "تعالى يا حلوة.. تعالى.. وأخيرا عرفت "للآتي" "هنية" كيف ترضينا.. مرحبا بك يا "عروسة".

هممت بالصراخ والاستغاثة ولكن ما قام به ذلك الكائن البشري الغريب أخرسني... لقد خلع كلّ ملابسه في عرض الزقاق وشرع يرقص عاريا على وقع إيقاعات مختلفة انبعثت فجأة من داخل إحدى الشقق...

هالتي المنظر وهربت إلى ركن مستتر وتكوّرت.. خلعت إني سائقيا أحشائي من فظاعة ما شاهدت... ظللت أحتبّي وجهي الصغير المتعب بين يديّ وأستجمع أنفاسي. وإذا بالصّخب المقيت يتحوّل هدوءا يعمّ كامل الزقاق.. فتحت عيني

أستطلع الأمر فإذا الرجل جسد هامد.. اقتربت منه بحذر وهممت بلمسه.. ولكن فوجئت بقبضة قوية تسحبني من ثيابي وفي لحظة خاطفة وجددتني مرفوعة بين ذراعيه وهو يركض بجنون... ويهمس "لا تخافي... اهدئي أرجوك".

كان شابا قويّ البنية. عيناه متيقظتان... ساقاه سريعتان... شعره مسترسل على كتفيه العريضين وبعضه يغطيّ قسمات وجهه.. وجسمه الأسمر تستره بعض الملابس البالية.. قدماه حافيتان جروحهما يحوم فوقها الذباب.

لم يكن هناك مجال لأسأله من يكون... فأنفاسه الممتزجة أضفت عليّ شيئا من الطمأنينة فأثرت الصمت.

حين غادرنا حدود ذلك الزقاق التعيس سألتني إن كنت قادرة على الركض مثله فقفزت من بين ذراعيه بخفة وانطلقنا نحري في حلّ من أغلال العقل المحتكم إلى آداب الطريق... وصلنا إلى محطة الحافلات واخترقنا نظام الصفّ ملفوفين بنظرات التبرّم والتأفف والاشمئزاز... سألتني مرافق السائق عن وجهتي فاحتدّ غضبه وصرخ بوجهه وعاب عليه أن يخاطبني في حضرته فاعتذر بابتسامة متكلّفة وخوف خفيّ.

تحركت الحافلة وهدأت الجلبة إلّا من همهمات وهمسات ونظرات موجهة إلينا في استغراب واستفسارات مكتومة..... بلغنا المحطة المقصودة ونزلنا في هدوء.. سرنا صامتين يورقني الخوف من قرار التخلّي عن مساعدتي في ذلك المكان النائي... ولكنه فهم توسّلي الصامت ورغبتي الواضحة في مرافقته فعبر عن موافقته بابتسامة لطيفة.

سرنا في طريق ملتوية متعرجة إلى أن وصلنا إلى غابة متشابكة أشجارها متعدّدة أدغالها.. توغلنا فيها حتّى بلغنا كهفا صخريّا تناثرت من حوله بعض النباتات الشوكيا وشجيرات هزيلة تشابكت على رؤوسها خيوط العناكب.

كانت الشمس لحظتها تستعدّ لسحب ضيائها عن الجبل بعد عناق دام  
ساعات... وشيئا فشيئا بدأ الظلام يغطّي ألوان الموجودات ويحوّلها إلى لون أسود  
موحد.

دبّ الخوف بداخلي وسألت مرافقي

من أنت ؟

أنا الجبل

لم أنت هنا ؟

لأحمي الشمس

كيف وصلت إلى ذلك الزقاق ؟

رأيتك صدفة تلوكين انحرافاتك وتحربين من وجعك... كنت أعلم أنك ستصلين إلى

ARCHIVE

زقاق الموت في كلّ الحالات

زقاق الموت http://Archivebeta.Sakhril.????????????????

لم أنت على هذه الحياة ؟

وأسرّع يجمع حطبا متجاهلا سؤالي.... وما هي إلا لحظات حتى كانت ألسنة اللهب

تأكل ما جمعه من أعواد يابسة.. أغراني الدفء المنبعث منها فسمحت لجسدي

للمنك أن يتلذذ حلاوة ما يصله من حرارة فيما ارتفعت عيناى إلى السماء بالدعاء

والمناجاة...

همس جميل تنبث أصداؤه الرنيمة من الكهف.. ورفيقي مشرق بالابتسام وهو

يلطف حسناء ويساعدها على المشي.. كانت فاتنة بشرة ناصعة البياض.. عيناى

سوداوان وجفون كحلاء.. نظرات حادة وداعة ورقة.. معتدلة القوام في رشاقة.. كان

ثوبها الأسود البسيط يغطّي بطنها المنتفخ وقد بان نغداها ممتلئين عطفا وأمومة



وإذا بما تستكين بين ذراعيه وتنام ملتفة بأنفاس العشق بينما يظلّ يحرسها ويعدّ  
بالتواني نبضها.

تفطن إليّ وأنا أنأمل وجهه الوسيم وأبحث في عينيه عن هويته، فابتسم قائلاً:  
تأملوها.. أليست شبيهة الملاك؟

باركت قوله وطبعت على جبينها قبة ودّ واحترام  
قال والفرحة تعلو محيّا:

أتعلمين أنها تحمل طفلي.. وقريبا سيحلّ بيننا بطلا مبجلاً..؟  
لقد لاحظت ذلك سيدي.. هنيئاً لكما.. يبدو أتكما عانيتما الكثير حتى تحافظا  
عليه..

إيسيه!!!!!! لقد جمعنا نشوة الحرب من واقع مسفوح.. التقينا ذات ليلة  
استثنائية.. راقصت فيها الأنات قلبينا المهترئين.. إلّا أننا لم نستسلم لحمى الظلم بل  
تدثرنا بروح المغامرة واستبدلنا آهاتنا بمهممات الروح، واجترقنا بجذوة العشق عتمة  
الليل.. كتبنا قصصنا على جسد الواقع ونشرناها على مختلف صفحات كواكب  
السما والارض.

ومنى وأين التقيتما سيدي؟

بدأت حكايتي ذات ليلة مشلولة تنفّس برتتين متعبتين.. لم يكن لي فيها سوى حزني  
متأوها وحفيف الوحدة يصدّع آمالي.. كنت أبحث بداخلي عن شيء يعطف على  
جراحي.. ويحيي داخلي أحلامي المؤودة.. كنت في غرفتي أمضغ مللي وقنوطي..  
فقدت رغبتني في تلقينها دروسا في عالم الرومنسية.. تصلّب مشاعرها ملأني باليأس  
من تغييرها ومع ذلك نفخت آهة جديدة وأضفت رقما جديدا إلى قائمة التوسّل  
والعتاب.. استجديتها حبّا.. اهتماما.. رقة.. لكنّها كانت تسبح خارج محيط  
وجداني.

كانت تلك الليلة توافق ذكرى مولدي.. وددت أن تكون استثنائية فأشرب معها كأس الفرحه وأدحض بضحكها مللي ووجعي.. إلا أنها حوّلت حديثي صمتا وثباتي انكسارا وأملّي إحباطا.. كانت كعادتها أمام التلفاز تتابع مسلسلا تركيا مأسورة بوسامة أحد أبطاله ومعجبة بعراء بطلاته.. ولما ساورها التّعاس ولجت غرفة النوم متثابة بعد أن عاتبتي على فوضى كؤوس الشراب المتناثرة في مختلف أركان المنزل.

ابتلعت سليبتها مهزوما.. وجلست إلى مكتبي محاصرا بذكرياتي. تزوجتها وأنا في مقتبل العمر وكلّي أمل أن تكون حياتي صخباً مثيراً.. إلاّ إني غرقت في بركة صمتها.. كنت أخشى أن أدخل معها في جدال فيخرج من بين شفيتها الكلام مسحوقاً باهتا لا علاقة له بأريج فصولي.. كان أثاث المنزل أكثر متي حظاً.. تتعهد باللمس المتواصل والعناية الفائقة... تمسك بين يديها تحف الزينة وتتأملها تأمل الأم الرؤوم لوليدها.. تضع كلّ صباح على الطاولة باقة جميلة من الأزهار النضرة ولكنها لم تفكر يوماً أن تهديني وردة تنعش ذاكرتي.. كانت تزحف السرير بفرش ووسائد مطرزة إلاّ أنّها لم تكتب عليه يوماً حكاية مجنونة بحسدها الناعس.. عطورها.. فساتينها.. ملابسها الداخلية.. كلّها تعيش حالة اغتراب داخل خزانتها.. كلّها تأسف لما اعيشه من تخشّب اللحظات والمشاعر.. وتشهد كم أحتاج رقصة قلب نابض يوقف تجاعيد الحرمان وهي تحتاج جسدي وتعصف بأحلامي.

أغرّتي قطرات المطر المتساقطة في جنون على بلّور النافذة فتركت مكتبي ووقفت أتأملها منتشيا بما تحدّثه من إيقاع ساحر يعجز عن تضم نواته أمهر الموسيقيين... إيقاع حرّك جذور ذاكرتي العميقة وفجر ينابيع صدري فحاصرني رغبة شديدة في التحليق نحو عرش البهاء..

أوحى لي ثورة المطر في الخارج بأن أكون شبيه السحاب وأتخلّى عن عقلي فأبكي بصوت عال وأجعل من دموعي سيولا تغمر شوارع الحياة. وأعيش بعد ذلك

فوضى الحواس وفيض المشاعر.. استبدّ بي في تلك اللحظات حوار داخليّ مجنون..  
وتساءلت لماذا لا أبعثر ترتيب فصولي... لا أكسر كؤوس الانتظار.. لماذا لا أغفو  
بأحضان الليل وأشعل قناديلي خارج هذه الغرفة المظلمة الضيقة ؟  
وغادرت المنزل في تلك اللحظات الحرجة وبين الضّلوع المكدومة بسمة  
مسحون...

ظلمت أمشي وأقذف ببعضي في كلّ مكان، وتعالى من حولي صرخات الاعتناق..  
لا أعرف كم من المسافة قطعت؟ وكم من الوقت أمضيت؟ لما ألفت سيارة سوداء  
في طريق فلاحني تتخبط في الوحل وسائقها يحاول أن يتغلّب على غول الطين  
الغاضب أما مرافقه فكانوا ذوي ملامح غريبة، وجوههم صفراء باهتة تنتظر الفرج،  
وكان بينهم هيكل أسود صغير يرقب ما يحدث في صمت، وينفث رائحة صمت  
يحترق، بينما كان أحدهم يحثهم على ترك السيارة ومواصلة تسلّق الجبل على  
الأقدام.. اقترحت عليهم المساعدة فلم يرفضوا.. أمرتهم بالنزول وقفزت داخل السيارة  
وشغلت محركها بحكمة وطلبت منهم أن يدفعوها بما أوتوا من قوة حتى تخترق الحفرة  
الملوثة طينا مطحونا.. وما لبثت الأصوات أن تعالت "الله أكبر ! الله أكبر ! ادفع  
... ادفع.. واهترّ المقود بين يديّ اهتزازات عنيفة ولا ادري كيف أدّرت المحرك  
فانطلقت السيارة مصدرة أنزعا متواصلا واجتازت ما توخّش من الطين...

سعدت لسلامتهم وقفزت مودّعا ولكن هيهات !!!  
صفعة قوية على قفائي وكلمات صاعقة ذبّحت عفوية اللحظة وبراءة الصدفة  
صاح أحدهم

لا تتركوه يهرب أنه طاغوت مخمور  
وارتفعت الحناجر بالشتم والتهديد  
اجلدوا الخائن ... اجلدوه



وهجموا عليّ هجوم الوحوش الجائعة.. قِيدُونِي إلى جذع شجرة وأشبعوني ركلا وسط  
صراخ أنثوي ينبعث من خلف برقع أسود يستر وجه ذلك الهيكل الضامر المحشور بين  
هؤلاء المجرمين.

أدركت أنني غرقت في طوفان من الوحشية لما اجتمعت سيوفهم حول رقبتني وانهملوا  
عليّ بالأسئلة.

هل أنت معنا أم ضدنا ؟؟؟

قلت وأنا امضغ خوفي

وهل عليّ أن أكون معكم إن لم أكن ضدكم ؟؟؟

أخسر أيها الشيطان كيف تخاطب أسياك بهذه الطريقة...؟ الله أكبر الله أكبر  
اجلدوه دون رحمة إنه كافر...

والتزمت الصمت وأنا ألعن تورطلي في داخلي... وفجأة رنّ هاتف جلاّدي  
فابتسم وردّ بكلام كلّ رموز ثم أشار عليّ مساعدية قائلا: هاتوه

أخذوني مقيداً إلى داخل السيارة.. وانطلق الحديد يهتزّ ويتمايل وسط صراخي  
وتوعداهم باصطياد كلّ الطواغيت... والكفرة.

وأيقنت أنني وقعت في شباك تنظيم إرهابي مقيت ولا سلاح لي سوى الصبر...  
وخيّرت أن أنتحر بصمتي

شعور غريب اجتاحتني لما التقت عيوننا.. كان وجهها مغطىّ إلا من عينيها  
الساحرتين ... نظراتها السّاهمة اخترقتني بموجات إيجابية وبعثت في أعماقي السكينة  
والهدوء.

أوقفوا السيارة في مكان غريب... أشجار متشابكة الأغصان.. مخيمات ضخمة  
ترفرف فوقها لافتات ذات علامات غامضة.

سألت الفتاة بإشارة من عيني عن المكان الذي كنّا فيه فأشارت عليّ بالصمت...

قادوني إلى كهف عميق... كهف مجهز بالالكترونيات مختلفة.. كامرات  
وحواسيب وهواتف قاذرة.. وفي زاوية من زواياه يقبع شخص غريب الهيئة يلهو بكرة  
بلورية وينقلها بخفة بين كفيه ..

أمرني خادمه المطيع أن أجلس أمامه فرفضت وقلت:  
لن أنحني لغير خالقي

ركلني بحذائه الاسمعتي ركلة كادت تفقدني وعيي... إلا أنني ظللت ثابتا على مبدئي  
حتى فقد توازنه وأمرهم بإخراجي...

مضت ساعات وأنا مكوم على التراب خارج الكهف وغير بعيد عن المخيم...  
وصلني صوتها رقيقا:

أتسمح لي بمداواة جراحك؟

تسارعت دقات قلبي وقلت هامسا:

هل يسمحون لك بذلك؟

لا تخف! إنهم منشغلون بتناول الطعام

مررت أصابع يدها تعقم جروح جسدي فإذا بما تعطف على جراح روحي...

رقص قلبي... اهتزت مشاعري... شبت دفنا وولد بداخلي أمل وروى عمقي  
الضمان ونسيت أنني بين مخالب المجهول... أحسست أنني أصبح في أنقى مياه الحياة  
وأصفاها. أطف من جناحا أشهى الثمار وأتذوق من شهد العسل. لقد أصبح  
نبضي مؤكسجا بأريجها العبق.. قدر جميل هيأ أسباب لقننا فسكنت باعادي ورت  
روحها.

ظللت أقاوم غرابة سلوك أفراد تلك الجماعة بإظهار الشجاعة حينما والتظاهر  
بالعباء حينما آخر. فأعبر عن سوء ما يقتفون في حق الإنسانية تارة وأومهم بأني  
اقتنعت بتوجهاتهم تارة أخرى... وحصلت في الأثناء على تقرير مفصل حول حقيقة

تنظيمهم .. تفاصيل عظيمة مدتني بها "مرام" حبيبي ذات الرداء الأسود.. حدّثني كيف غسلوا دماغها واستغلّوا عفويتها وقلة حيلتها واقتادوها غزيرة بفتوى الجهاد في سبيل الله.

ذات صباح لم تشرق شمسي... وظلّ يومي مغيّما.. خفت عليها كثيرا.. تجرأت وسألت عنها أحدهم فحدجني بنظرة سخرية واحتقار وقال "اتلّهي في روحك يا كافر غير لك"

ظللت كامل اليوم أبتلع هواجسي وأوهامي والمخاوف تنخر تفكيري وتكاد تصيبي بالجنون...

حلّ الظلام وانطلقت وحشيتهم كالعادة تمسّط أرجاء المخيم.. تمارين في فنون القتال.. تنفيذ أحكام إعدام.. حرق جثث.. تعذيب.. رعب يمزّق جسد الجبل باسم الجهاد.. إرهاب يتلّع قيما وأحلاما بشرية بوحشية.. أشباح تفوح منها رائحة الهوس الفكري ونتاجة العفن الجسدي.. هم يدركون جيّدا أن الدين بريء من أساليب جهادهم تلك وأنهم مجرمون يلتهمون الغثّ والسمين لإرضاء أسيادهم.. يذبحون من يعارض رغباتهم بآلات ضرورهم. والرجولة بالنسبة إليهم ليست أكثر من لحظة إشباع غرائزهم المستترة.

كنت أحسن وقتها أنّ شمسي تحترق.. وتزاحمت الأفكار برأسي وضاق بالمخاوف صدري وما عدت قادرا على التوازن... تسلّلت بحذر باحثا عنها في كلّ الزوايا حتّى وجدتها تصارع أحدهم.. كان ثورا هائجا وكانت قطعة تخلّت عن وداعتها واستنجدت بأنبيائها ومخالبها للدفاع عن نفسها.. تصرخ وتنشب أظافرها في عرض صدره بعد أن حفرته على وجهه أحاديث من الدم .. لقد مرّق الوغد كلّ ملابسها وصرعها أرضا وهم بعضٌ شفيتها.. ولكنني وقفت أمامه متحدّيا غطرسته. وضعت يديّ الاثنتين حول رقبته حتى همد.. وسحبت حبيبي مرام بلطف إلى الخارج وهرننا..

لم يكن هناك مجال لتترك الجبل ونعود إلى ديارنا. فقد صدّق أهلي إني سافرت إلى سوريا بعد عرض صورتي مع مجموعة يشتهه في أنما على علاقة بشبكة خارجية تمّول الجهاد في بلاد الشام.. وقد غدّدت زوجتي بسذاجتها ما ورد في تقرير أحد المتأعلمين وأكدت في لقاء بإحدى القنوات الخاصة أنني كنت أعاني أزمة نفسية وأني خرجت ذات ليلة دون أن أفصح عن وجهتي... وأنه من المحتمل جدًا أن أكون في صفوف المجاهدين... أمّا مرام فقد شرحت لي سبب ارتماثها في أحضان تلك المجموعة.. إنَّها ضحية قسوة زوجة أبيها حين جعلت منها فتاة مستكينة خاضعة لأوامرها.. وحولتها بظلمها شبيهة بخرقة دامية متعكّرة.. وبين غفوة وصحوة وجدت نفسها متورطة في شعارات تلك الجماعة... شعارات في ظاهرها تنهى عن المنكر وتأمّر بالمعروف.. ولكن في باطنها لا تزيد عن تنظيم حزين "ماكينة" لا ترحم تطحن بأسنانها الحادة أحلام الشباب وتصرّها قوالب بشرية تعلّب وتصدّر إلى دول بدأت حناجر شعوبها المهتمّشة تصدح برغبتها في الديمقراطية وأيادها ترفع رايات الكرامة والحرية.

كان لابدّ أن نطلّ متحصّنين بالجبل.. ذاك قدرنا الذي مخطّطنا لم لاحتوائنا. قدر وضعني بطريقها فحرّرتنا منهم وحرّرتني من حياة قائمة كنت أعيشها بلا أمل. كنت في نظرها الجبل الشامخ الذي لا تخرب صدره السهام ولا تهدّه العواصف، وكانت شمسي.. نيراسا مضاء.. كوكبا يعزف لحون السعادة ويتغذّى بأجل أهانج الحبّ والبهاء.

وها نحن الآن نبحر في عباب أحاسيسنا ونغرق في لذيذ فرحنا.. الدم في شراييننا يسترجع قدرته على التدفق والانطلاق.. والبوح يجتثّ من أعماقنا عروق الصمت الكتيب.. وينفضّ على كل كوايس الماضي الأليم.

تأملني وجهها الملائكي يا رفيقتي.. ألا تسمعين صوت أنفاسها الناعم.. غدا حين أغادر صباحا إلى العاصمة، أطلي منها باقة من الأغاني الصباحية.. ستكتشفين أن

صوتها همس وانسياب يلامس شغاف العمق فيسقيه وينبت فيه وردا ينثر شذاه فيحيي شرايينه اليايسة.

وجدت الفرصة سائحة ليحييني عمّا يشغل بالي ويرضي فضولي فسألته:

لماذا تذهب باستمرار إلى العاصمة ؟ وما علاقتك بزقاق الموت ؟

ما لا تعلمينه يا رفيقتي أني بصدد إنهاء دراستي العليا في علم الاجتماع.. وزقاق الموت كان أنموذجا أشتغل عليه منذ مدة.. وأنني مضطرّ أن أقابل مكوثي متنكرا ليمدني بمختلف التقارير والمراجع اللازمة.. بي رغبة كبيرة في تحديهم بالصبر والعلم يا حنين. ولم يكد ينهي كلامه حتى استيقظت حبيبته صائحة وتكوّرت ممسكة ببطنها.. كان مخاضا عسيرا جعله يقفز كالمتوه ويسألني كيف يتصرف.. لقد كانت المسكينة في حالة ولادة.

هذأت من روعه وطلبت منها أن تتحلّى بالشجاعة والصبر. تردّد طويلا قبل أن يأخذ هاتفه من جيب سترته ويستجده بأستاذة. طلب منه المساعدة. فلم يخل بما عليه.. وأشار عليّ أن أركض في اتجاه المعبد وأنتظر قدوم سيارة صديقه التي تحمل داخلها الطبيب.

أمضيت وقتا طويلا أركض بلا أنفاس لأصل إلى المعبد. وفيما كنت أصارع لحظات الانتظار بصبر، دوى انفجار رهيب في عمق الجبل اهتزت له كل الأركان. أحسست بشيء يزجر داخلي.. خوف جديد يجري في ساحة باطني.. يصل إلى حلقي.. أصبح.. أجري مع من كان يجري... وغير بعيد عن ذلك الكهف الصخري كانت أشلاء حسدّي "شادي ومرام" متناثرة على الأرض، وبعضها عالقا بأغصان الأشجار... لغم مشووم... فجر مشروع فرحتهما.. سحق حلمهما.. اغتصب منهما حقهما في الحياة...

## (فُسْحَةٌ بِالْفُصْحَى)

مع عاشق الضَّاد: الحبيب بلقاسم

ضَاذُنَا... مَا أَنْصَرَهَا

أَشَاءُ مُشْتَهِيًا وَأَزْعَبُ مُبْتَغِيًا، أَنْ تَضُمَّ حَدِيقَةُ الْيَوْمِ، الْفَيْسِحَةُ الْفَصِيحَةُ، أَفَانِينَ  
وَرِيْقَاتِ رَائِقَاتٍ وَأَزَاهِيرَ بَهِيحَاتِ زَاهِرَاتٍ مِنْ رَوَائِعِ ضَاذٍ نَحْنُ عَنْهَا رَاغِبُونَ عَازِفُونَ،  
مُعْرِضُونَ غَافِلُونَ، وَمِنْ بَدَائِعِ مَنْ نَحْنُ لَهُ تَارِكُونَ لَا طَارِفُونَ، وَعَاطِلُونَ فِيهِ لَا عَامِلُونَ،  
مَعَ رَغْمِنَا وَدَعْوَانَا أَنَّ الْعَرَبِيَّةَ هِيَ مِفْتَاحُ عَرَبِنَا وَعُنْوَانُ هَوَانِنَا وَمَصْبَاحُ نَهَضَتِنَا، وَلَكِنْ  
أَخْبَسَ أَنْ أَلْبِسْتَنَا وَأَقْلَمْنَا وَرُسُومَنَا تَفْضُحُ إِفْكَانًا وَزَيْنَنَا وَزَيْنَنَا عَنْ الْمَسَارِ  
الصَّحِيحِ، فِي فُسْحَةِ الْيَوْمِ مِنْ حَدِيقَةِ الْمَعْرِفَةِ خُرْمَةً أَوْ إِضْبَارَةً مِنَ التَّصْوِيَّاتِ اللَّغَوِيَّةِ  
لِعَدَدٍ مِنْ أخطاءٍ أَذْمَنَاهَا، شَوْهَنَا بِهَا لُغَةً تَعُجُّ بِجَمَالٍ وَجَلَالٍ وَالْقَا وَزَيْنُنَا كُلَّمَا سَخْنَا  
فِي رِيَاضِهَا الْمُرْدَنَاتِ إِشْرَاقًا وَأَشْوَاقًا عَبَّرَ الرُّسُومَ الْقَلْبِيَّةَ، وَإِنِّي لَمُتَحَفِّكُمُ قَرِينًا بِعَيْنَاتِ  
بَيِّنَاتٍ مِنْهَا تَحْلِبُ الْأَنْظَارَ وَتَحْلِبُ الْأَبْصَارَ، لَعَلَّ أَوَّلَاهَا وَأَوَّلَاهَا ذِكْرًا وَعَرْضًا بِدَائِعِ  
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، هِيَ السَّخَرُ الْجَمِيلُ فِي السَّفَرِ الْجَلِيلِ.

\* يُقَالُ: زَادَ الطَّيْنُ بَلَّةً، وَالصَّوَابُ: بَلَّةً، بِكَسْرِ الْبَاءِ.

\* يُقَالُ: أَقَامَ الدُّنْيَا وَلَمْ يُقْعِدْهَا، وَالصَّوَابُ: أَقَامَ الدُّنْيَا وَأَقْعَدَهَا.

\* يُقَالُ: تَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَلَا تَرَى طَحِيْنًا، وَالصَّوَابُ: وَلَا تَرَى طَحْنًا.

\* يُقَالُ: الْمَصَادَقَةُ عَلَى الدُّشُورِ، وَالصَّوَابُ: التَّصْدِيقُ.

\* يُقَالُ: الصُّحُفِيَُّّةُ آمِيَّةً، وَالصَّوَابُ: الصَّحْفِيَُّّةُ (بِاعْتِنَائِهَا تَعْمَلُ فِي صَحِيفَةٍ وَاحِدَةٍ)

آمِيَّةً، بِتَاءٍ مُقْفَلَةٍ، وَالْآمِيَّةُ هِيَ الطَّبِيعَةُ مِنْ آسَى لَا وَاسَى.

\* يُقَالُ: الْجَمْعِيَّةُ الْعَامَّةُ لِلنُّزْلِ، وَالصَّوَابُ: لِلْأَنْزَالِ، وَالْمُفْرَدُ التُّزْلُ.

\* يُقَالُ: عَيْدُ الْإِضْحَى، وَالصَّوَابُ: الْأَضْحَى